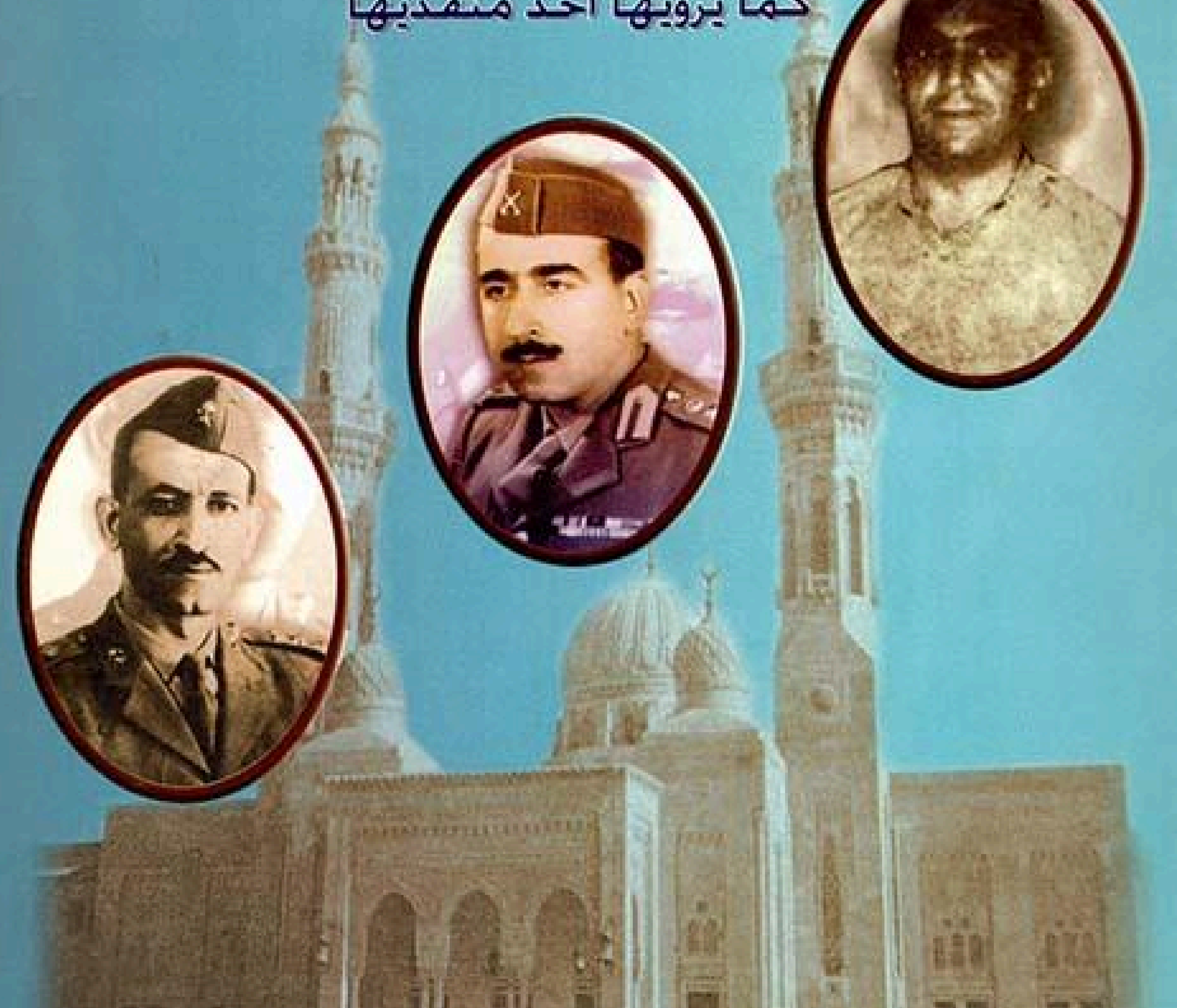
صديق اسماعيل المكتبي

العراق... بداية النهاية

رواية الأحداث والمشاهدات الشخصية
من ١٤ تموز ١٨٥٨ إلى ٨ شباط ١٩٦٣
كما يرويها أحد منفذيها



جامع أم الطبول

الدار العربية للموسوعات

العراق ... بداية النهاية

رواية الاحداث و المشاهدات الشخصية

(١٤ تموز ١٩٥٨ الى ٨ شباط ١٩٦٣)



صديق اسماعيل الكتبي

العراق... بداية النهاية

رواية للأحداث والمشاهدات الشخصية

من ١٤ تموز ١٩٥٨ إلى ٨ شباط ١٩٦٣

كما يرويها أحد منفذيها

العراق ... بداية النهاية

رواية الاحداث و المشاهدات الشخصية

(١٤ تموز ١٩٥٨ الى ٨ شباط ١٩٦٣)

تأليف ألمقدم

صديق اسماعيل الكتبي

تقديم اللواء

كامل طه الدبوني

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى

٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ

الدار العربية للموسوعات

الحازمية - ص.ب: ٥١١ - هاتف: ٠٠٩٦١٥/٩٥٢٥٩٤ - فاكس: ٠٠٩٦١٥/٤٥٩٩٨٢
هاتف نقال: ٠٠٩٦١٣/٣٨٨٣٦٣ - ٠٠٩٦١٣/٥٢٥٠٦٦ - بيروت - لبنان
الموقع الإلكتروني: www.arab-enc-house@lynx.net.lb
البريد الإلكتروني: E mail: arab-enc-house@lynx.net.lb

مؤسسها ومديرها العام: خالد العاني

تقديم

قرأتُ ما سطره قلم الأخ العزيز الحاج صديق إسماعيل مصطفى عن ثورة الموصل عام ١٩٥٩ . ولما كنت منتظماً معه في تنظيم محدود لمقاومة التيار الشيوعي الذي اشتدَّ خطره بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، ورافقته بكل التدابير والخطط لمقاومة الشيوعية قبل قيام ثورة الموصل وعملي معه أثناء الثورة لكوننا من وحدة عسكرية واحدة، وهي الفوج الثاني للواء الخامس، وكنا موقوفين سوية في الموقف العسكري في الموصل وأخذنا إلى بغداد في معتقل الدبابات الرهيب والإحالة إلى محكمة الشعب برئاسة المهداوي السيِّئ الصيت، والحكم علينا بالإعدام وتخفيض الحكم إلى السجن لمدة خمس عشرة سنة، وقضاء مدة السجن معه إلى يوم خروجنا من السجن عند صدور أمر العفو عن السجناء، وذلك بتخفيض نصف مدة محكوميتهم.

ولهذا فإن ما سطره قلم الأخ الفاضل هو نفسه كنت قد عشته معه، ولاقيت مثله وفي بعض الأوقات أكثر ألماً وقسوة مما لاقى. فوجدت أنه قد ذكر الحقيقة كاملة ناصعة، وكشف للأجيال أحوال الأشخاص الملحدين إذا استلموا الحكم أو أسند إليهم أمر البلد، ويكون حالهم كما وصفهم الشاعر حين قال:

حكمنا فكان العفو منا سجيَّةً　　　فلما حكمتم سال بالدمِ أبطحُ

هذا ويبقى الصراع بين الحق والباطل مستمرًّا ما وجدت جماعات تبتعد عن أوامر الله تعالى ولا تتبع رسوله الكريم ﷺ وإن التمسك بأهداب أوامر الله واتباع رسوله سيجعل من المجتمع حالة صالحة متعاونة متحابّة فتكون الحياة حلوة سعيدة ترضي الله سبحانه وتعالى أن يقبل منّا عملنا في هذه الثورة خالصاً لوجهه الكريم ومنه نطلب العون والأجر والثواب إنه سميع مجيب.

كامل طه الدبوني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾.

أتشرف بطباعة هذا الكتاب بالنيابة عن والدي (صديق اسماعيل الكتبي) رحمه الله. والذي وجدت في طياته حقيقة مؤلمة لمرحلة من تاريخ العراق ومآسيه المتكررة على مرّ الزمان، ومع كل هذا فقد أتى رجال وسيأتي آخرون يؤمنون بالله ويدافعون عن العراق وأهله مهما تغيّرت الأثواب وتبدّلت الشعارات.

راجياً منه تعالى أن يرحم والدي رحمة واسعة وأن يجعل ما قدّم في ميزان حسناته.

نجله
المهندس حارث الكتبي
الدوحة - قطر
2006 م

الإهداء

إلى كل عراقيّ يؤمن بالله

ويرى على الدوام سعادة بلاده

وينبذ أولئك الذين يعذبون الناس ويؤذونهم

أهدي هذه الصفحات

المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

رغم ما كان يبدو من تقدم اقتصادي في العراق يبشر بمستقبل زاهر، ورغم المشاريع الكبيرة والضخمة التي كانت قائمة وفي طريقها إلى القيام قبل ١٤ تموز (١٩٥٨) إلا أن الأوضاع السياسية للبلد كانت تبعث على الاعتقاد أن كل جهد يصرف لرأب الصدع وتقليل الهوة بين الشعب وحكامه يبدو عبثاً، ذلك لأنّ روح المقت والكراهية للمسؤولين وأصحاب النفوذ، وكثرة الإشاعات حول السرقات والرشاوى، والدخول في حلف بغداد، والعداء مع الرئيس عبد الناصر آنذاك، وكثرة الانتهازية، وعدم صلاحية المحاكم داخلاً وخارجاً (داخلاً على أيدي الحكام، وخارجاً على أيدي الشرطة) وما ساد في دوائر الدولة من التكبر والغطرسة عند موظفيها، بحيث أصبح المراجع عندهم لا يجد إن لم يكن له سابق معرفة بهم أو من يعرِّفه إليهم إلا الإهانة. واعتماد الحكومة على كبار شيوخ العشائر والإقطاعيين، واستغلال الشيوعيين وغيرهم لهذه الأوضاع، وبث روح الشقاق. كل هذا وغيره كثير جعل المواطنين يتطلعون إلى من يخلص البلاد من هذه الأوضاع. وما جرى سنة ١٩٥٧/١٩٥٨ من تقدم في جميع نواحي البلاد ولو نسبياً والذي أشرت إليه سابقاً لم يكن إلا مخدراً وقتياً زال فجأة صباح ١٤ تموز ١٩٥٨ وحدث الهيجان وحدثت العواصف.

وكان المفروض في رجال ثورة ١٤ تموز أن يأتوا بالأحسن إلا أن ما حدث في العراق من انتكاسة الثورة وسرقتها وعدم معرفة العسكريين الذين جاءوا إلى السلطة بأسرار الحكم والسياسة جعل من أحد قادتهم أن يقول بعد أيام من قيام الثورة: (قبرك يا نوري بالجنة)[١] وهو في أعلى المناصب لما تبين

(١) يقصد نوري السعيد رئيس وزراء العراق يوم ١٤ تموز، والقائل هو عبد السلام عارف.

له أنهم كانوا أداة بيد الشيوعيين وغيرهم. ولما عاد الدكتور عبد الجبار الجومرد[1] وزير الخارجية في أول وزارة ثورية بعد استقالته منها ولم يمض على استيزاره أشهر قليلة إلى الموصل سُئل عن الأوضاع قال: [أدخلوا مساكنكم وأقفلوا أبوابكم فإنّ فاجعة كبيرة قد حلت بالعراق]. وفعلاً حصل ما تنبأ به، وكان من نصيبي أن نالني من عصفها ما ستجده أيها القارئ الكريم في الأسطر التالية رغم أن ما سُطِّرَ هو أقل بكثير مما شاهدناه وسمعناه، وأنا على ثقة من أن كثيرين غيري الذين حُكموا أو هربوا أو الذين بقوا في دورهم ووظائفهم وأشغالهم ربما تحملوا من العذاب والأهوال والضرر والكبت والحرمان والآلام النفسية أكثر مما لاقيت، وذاقوا المر من هذه الأحداث أضعاف ما ذقت، وقد يكون لكل منهم مذكراته حول ذلك إلا أني أذكر هنا ما شاهدته بأمّ عيني، وما تحمل جسمي من هول التعذيب وقوة الهراوات وندرة النوم وما سمعته أذناي من هتافات وشتائم أترفع عن ذكرها لانحطاطها ليعلم الجميع ما كابدناه في سبيل مصلحة هذا البلد.

وإلى أولئك الذين ذهبوا ضحية تلك العواصف من الذين قتلوا في الموصل وكركوك خاصة وأنحاء العراق عامة، وإلى الذين أعدموا في أم الطبول أسمى آيات التقدير والإعجاب لهم الشهداء حقاً إنشاء الله ولأبنائهم وذويهم خالص الاحترام والتقدير.

ولا بد لي أن أنبه إلى دليل واضح على أن ثورة الموصل هي من الثورات النابعة من صميم الحاجة إليها لخدمة الأمة، فمن النادر أن يجتمع أكثر ضباط الجيش وهم في مناصبهم ومكاناتهم ومسؤولياتهم ولم يكن ينقصهم شيء على الاشتراك بثورة الموصل لولا اقتناعهم وإيمانهم أن هذه الثورة نظيفة ولا بد منها لإيقاف المدّ الشيوعي علماً أن أكثر الضباط وخاصة ذوي الرتب الصغيرة ونواب الضباط وضباط الصف إذا دققت في وضعهم وجدت انتماءهم أو انتماء

---

(١) الدكتور عبد الجبار الجومرد من أهالي الموصل، ومن حملة شهادة من السوربون (الدكتوراه) وله مؤلفات في التاريخ، وله مكانة بين الأدباء والسياسيين.

أكثرهم إلى أسر متوسطة الحال إن لم نقل فقيرة، وأهلهم بحاجة إليهم وإلى رواتبهم، ولكنهم ضحوا في سبيل بلدهم رغم إغرائهم من عبد الكريم قاسم برفع رواتبهم وامتيازات أعطاها للعسكريين. لقد شاهدتهم في التوقيف والتعذيب والمحاكمات والسجن فلم أشاهد منهم أي تذمر وكان ذكر الله ورسوله على لسانهم دوماً، وكانوا في كل يوم يمضي يزدادون ثقة بعدالة قضيتهم، ولقد تولى الكثير منهم مناصب مرموقة بعد ثورة ١٤/رمضان فبقوا على إخلاصهم لبلدهم وخلقهم وإيمانهم إلا ما ندر، فإليهم جميعاً أرفع أسمى التقدير وخالص الدعوات من الله أن يجازيهم خير جزاء.

بداية النهاية

في حديقة النادي العسكري بالموصل، المحل الواسع الهادئ الجميل، وفي القسم الأيمن منها كان الزعيم الركن ناظم الطبقجلي ليلة ١٤ تموز ١٩٥٨ يقطع الحديقة الطويلة جيئة وذهاباً، ولم يكن في النادي العسكري غيره وعدد قليل جداً من الضباط والجنود بألبستهم البيضاء، إذ كان الوقت قد جاوز منتصف الليل، وكنت من الذين بقوا إلى ذلك الوقت، جلب انتباهي تأخّر آمر اللواء وما يشغله، وغادرت النادي حوالي الواحدة صباحاً، وكانت هموم كثيرة تسيطر عليّ، ولم تكن هذه الهموم إلا شعوراً بالحالة التي وصلت إليها البلد على الرغم من التقدم الملموس والرفاه النسبي الموجود، وكنت أفكر في حالات الشغب والنفاق الدائر في دوائر الدولة العسكرية منها والمدنية، إذ كانت قد حدثت حوادث حملتني على ذلك التفكير، ثم إني أعرضت عن هذا التفكير لما طرأ على خاطري من سؤال كان يوجه إليّ دائماً: هل هناك حركة ضباط أحرار في الجيش؟ والذي كنت أجيب عنه في كل مرة أُسأل فيها بأنه لا علم لي بذلك، ولكني أعلم أن أكثر الضباط وخاصة الشباب على استعداد للقيام بحركة مناوئة للحكومة وكنت أستدرك دائماً أنه ليس هناك من القادة من يتمكن من تحمل مسؤولية إدارة الدولة، وإن كان أكثرهم قادراً على القيام بصورة ما، لأنّ الهدم بسيط والبناء صعب، وكنت أسمع من والدي رحمه الله عند حديثي معه في هذا الأمر: (إن جمال عبد الناصر لم يكن من الضباط الكبار، ولم يكن أحد يعرفه) والله يعلم كم كنت من المتلهفين إلى تغيير الأوضاع إلى الأحسن، وكارهاً سلوك كثير من الموظفين والإقطاعيين ولم يكن يخطر ببالي تغيير الملك.

ولما عدت صباح ١٤ تموز من ساحة العرض إلى مقر الفوج في معسكر الغزلاني بعد توزيع الفوج[١] إلى واجباتهم التدريبية لرؤية بعض أعمال الدائرة - حيث كنت أعمل مساعداً لآمر الفوج - التقيت عند مدخل بناية المقر ضابط رواتب وحدتنا[٢] مهرولاً إليّ قائلاً بلهجة متقطعة وكالمأخوذ . . . ثورة . . . جمهورية . . . وعقبه إمام الفوج[٣] قائلاً وقد اصفرّ وجهه وظهرت علائم الارتباك عليه: اسمع إذاعة بغداد . . . تذيع عن الجمهورية . . . . أسرعت إلى بهو الضباط القريب من محل وقوفي واستمعت بأذنيّ من الراديو (محطة الجمهورية العراقية ببغداد) وهنا داخلني السرور والابتهاج والفرح، وهرولت إلى أقرب سيارة لتنقلني إلى ساحة العرض لنقل الخبر إلى آمر الوحدة وضباطه، فرأيتهم مجتمعين قد علموا بالخبر، ولم أجد من أحدٍ منهم إلا الفرح والسرور، وبعدها عدنا إلى الثكنة، وعاد الفوج إليها. وبعد انتشار الخبر خرجت من دائرتي لأقف على شعور الجنود متجولاً في قاطع الثكنة فلم أجد ما يسرني إذ كانت نظرات الجنود وضباط الصف تعبّر عن حيرتهم من الأمر، وساءهم حقاً أن يقال لهم إن مليكهم[٤] قتل. إلا أن إذاعة بغداد وصوت عبد السلام عارف وتأييد جميع الضباط للثورة، واشتراكهم في تنفيذ الأوامر للثورة جعلهم - أي الجنود - يندمجون بها، ولما سمعوا عن حوادث مقتل الضباط في الجنوب[٥] سرهم ذلك لأنهم شعروا أن الطوق المضروب حولهم باسم الضبط أخذ بالانفكاك عنهم، ولم يلبث أن أيّد الجميع، ولمّا رأوا من

(١) آمر الفوج العقيد الركن سعيد فتحي الصقلي.

(٢) نائب ضابط تلميذ طه حمو.

(٣) الإمام عز الدين قاسم.

(٤) الملك فيصل الثاني المحبوب من الجميع ومن سلالة الرسول ﷺ زار الموصل في شهر مايس ١٩٥٨ واستقبله الناس أحسن استقبال ورفعوا سيارته وحملوها وغاظ ذلك الشيوعيين فدسوا من يحرق قوس النصر المقام قرب النادي العسكري.

(٥) قُتل عدد من الضباط في الديوانية على أيدي مراتب الشيوعيين بتحريض من أحد الضباط الذي أعدم مع قسم من الجناة في أول الثورة.

أهالي الموصل التأييد المطلق، ولمّا قاموا بتنفيذ واجباتهم في السيطرة على بلدة الموصل ومداخلها زاد تأييدهم واندفعوا لما سمعوا عن جائزة عشرة آلاف دينار تعطى لمن يلقي القبض على نوري السعيد[١]. وأخذوا بالبحث والتحري[٢] أكثر مما يتوقع منهم، وتعصبوا لتنفيذ الأوامر أكثر من أي وقت، ولم يكن أحد من الضباط والمسؤولين يفكر باحتمال قيام الجنود وضباط الصف بأي عمل مخالف لأوامرهم لثقة الجميع بالضبط السائد ولعلو كلمة الضابط آنذاك.

عاد آمر الفوج من مقر اللواء في الساعة السابعة صباحاً وطلب جميع الضباط إلى مقره وألقيت فيهم كلمة مضمونها ما أذاعته بغداد من تغيرات في وضع الدولة ووضع الجيش وعزل قسم من الضباط وتنصيب غيرهم وخاصة فيما يتعلق بالفرقة الثانية التي يتبعها اللواء الخامس بالموصل وأفهمهم واجب التمسك بالأوامر والظهور بمظهر الضبط والطاعة أكثر من السابق، وكان آمر الفوج يتكلم وعلائم الفرح ظاهرة عليه، وانطلق الجميع إلى واجباتهم، وبسرعة صدرت الأوامر عن واجبات الفوج وهي حماية الأماكن المهمة في البلد وتنفيذ أوامر منع التجول يتعاقب هو والفوج الثالث من اللواء نفسه ويكون مقره النادي العسكري.

توالت الأنباء من بغداد وعلمنا أسماء كثير من الضباط الذين ساهموا في الثورة، ومنهم آمر اللواء الزعيم الركن ناظم الطبقجلي[٣] الذي عين قائداً

---

(١) جرى التحري في قصر التاجر محمد نجيب الجادر في الجانب الأيسر من المدينة، وقام بالتحري مجموعة من العسكريين يرأسهم الضابط محمود عزيز، وقد أخبرني أحد أقارب محمد نجيب الجادر بأنه لم يكن راضياً عن أسلوب التحري منتقداً محمود عزيز لذلك.

(٢) نوري السعيد كبير الساسة العراقيين ساهم في تأسيس الحكم الملكي في العراق. قتل في اليوم الثاني من الثورة في منطقة البتاويين ببغداد على أيدي عراقيين لم يعرف من هم وهو يحاول الهرب.

(٣) عمل الزعيم الركن ناظم الطبقجلي في قيادة الحرس الملكي ويعتبر من أصدقاء =

للفرقة الثانية ولما سمعت ذلك عاد إلى ذهني مظهره وهو يقطع حديقة النادي جيئة وذهاباً ليلة الحركة.

لم يكن الطبقجلي راغباً بترك الموصل لاستلام الفرقة الثانية ما لم يتركها قائدها السابق عبد الوهاب شاكر[1] لما بين الشخصين من علاقة طيبة وصداقة أكيدة إلا أن عبد السلام عارف اتصل به تلفونيًّا وألحّ عليه بضرورة الالتحاق بالفرقة الثانية وترك أمور الموصل إلى من يليه ولا يهتم بحوادث متوقعة كانت قد حدثت بين العشائر العربية.

هذا وإن جميع الوحدات بالموصل تلقت الأنباء وأيدت الحركة تأييداً عملياً وسارعت بتنفيذ الأوامر والواجبات المعهودة إليها وبدأت التهاني بين الجميع لتحقيق ما كانوا يصبون إليه وارتفعت إذاعة بغداد تذيع أغاني الوحدة، فصفق لها الجميع، ولما حان وقت إذاعة صوت العرب من القاهرة لم يكن صوت آخر يسمع في جميع المعسكرات غيرها ودوّى صوت أحمد سعيد[2] المذيع من صوت العرب مردداً شعارات الوحدة العربية مؤيداً العراق منذراً

= الأسرة المالكة ومقرباً إليهم. قاد لواء عبد الإله وكان محبوباً لدى الجميع، وأعدم من قبل عبد الكريم قاسم بعد ثورة الموصل متهماً بقيادة الثورة، وأخبرني العقيد أحمد مرعي مدير الاستخبارات العسكرية في العهد الملكي أنه من خيرة الضباط ولكنه لا يتخذ قراراً سريعاً. وقد أرسل لعبد الكريم قاسم، قبل تنفيذ الحكم فيه وأبقاه مكبلاً بالحديد أمامه، ولما عاد إلى السجن تحدث أنه لم يلن إلى عبد الكريم قاسم وأنه انتقده على أخطائه التي أدت بثورة الموصل وقال: لولا أني مكبل بالحديد لحاولت القضاء عليه بيديّ.

(١) عبد الوهاب شاكر من القادة العسكريين الممتازين قاد اللواء الخامس بالموصل ومخلص للأسرة المالكة لم تتح له الفرصة للقيام بأي عمل لمقاومة الثورة. عين متصرفاً للواء الموصل في زمن عبد الكريم قاسم وقد حظي برضا أهل الموصل.

(٢) أحمد سعيد مذيع في صوت العرب بالقاهرة كان له أثر كبير في توجيه المستمعين العرب، وكانت أحاديثه شديدة القسوة على نوري السعيد وبصورة مستمرة وبدون =

أعداءه واصفاً كيف تلقى الرئيس جمال عبد الناصر نبأ الثورة وكيف أنه ذهب إلى موسكو إثر سماعه النبأ وعاد منها إلى القاهرة ماراً بسماء بغداد.

وكانت إذاعة بغداد تؤكد على ضرورة الوحدة وتؤكد أن سياسة العراق أصبحت جزءاً من سياسة الجمهورية العربية المتحدة وعندما سأل أحد الضباط في نقاش هادئ إخوانه من ضباط الفوج هل الوحدة ضرورية في الوقت الحاضر، قيل له من الأحسن عدم التحدث بهذا الموضوع خشية الاعتداء عليه إذ لم يكن هناك إلا هتاف وحدة وحدة، وظهرت صور جمال عبد الناصر تعلو جميع الأماكن واختفت صور الملوك، ولم يبق لها أثر، خاصة بعد إعلان مقتل نوري السعيد.

في ليلة ١٥/تموز، وعند اجتماعنا في حديقة المعسكر كانت خلاصة الأخبار الواصلة إلينا من بغداد مفادها أن اللواء العشرين بقيادة عبد السلام عارف كان في طريقه إلى عمان ثم إلى لبنان لمساعدة كميل شمعون رئيس جمهورية لبنان لوجود ثورة مضادة لحكمه، وعند وصول اللواء إلى بغداد قام بحركة سريعة ليلاً للسيطرة على الحكم ونجح في ذلك، ولم يصلنا بعد أي شيء عن أسلوب وخطة الاحتلال، ولكننا كنا نعجب من سرعة الحركة ونجاحها وحصول عامل المباغتة وقلة القوة المهاجمة، ولما علمنا فيما بعد عن قلة العتاد وعدم تيسره لدى اللواء زاد عجبنا ولم أسمع غير أن إرادة الله ومشيئته أدت إلى نجاح هذه الحركة ولما سألت هل يمكن أن تقوم هذه الحركة فجأة بغير تنظيم اضطر اللواء للقيام بها خشية الذهاب إلى لبنان أجاب آمر الفوج بأنه كان على علم بقيام تنظيم للضباط داخل الجيش وأنه عرض عليه الاشتراك ولكنه بقي محايداً، وأكد أنه لا علم له بوقت الحركة، ثم انبرى أحدهم يتحدث عن وجود تنظيم في الموصل داخل الجيش وأن عددهم يقارب

= هوادة. وقد رأيت أحمد سعيد مع مجموعة من المغنين والراقصات في الموصل عام ١٩٦٣ جاءوا من مصر لإقامة حفلة يكون ريعها لثوار الجزائر وكان مسؤولاً عنهم وقد جلب لنفسه انتقاداً كثيراً.

ثلاثين ضابطاً، ورغم أن قاسم وعارف والشواف لم يعترفوا بهذا التنظيم إلا أنه كان موجوداً وبصورة ضيقة، وعلى مستوى الضباط الصغار.

يوم ١٥/ تموز استلم الفوج واجباته داخل البلد، وقد حدثت تصرفات غير جيدة ولكنها قليلة مثال ذلك أن إحدى الدوريات كانت تطلق النار في الهواء بجانب السيارات السائرة ولا يدري أصحابها ما يراد منهم مما أزعج الكثير كما أن هذا الضابط المسؤول عن الدورية أطلق الإشاعات عن عصيان في كركوك، ولما اتصلنا بمقر الفرقة علمنا أن ذلك كان محض اختلاق، والأنكى من هذا أن الضابط نفسه وهو ملازم عين بعد الإشاعة الأولى والتصرف بإطلاق النار في البريد المدني بعيداً عن احتكاكه بالناس، ولكنه اتصل بنا قائلاً إنه استلم برقية من بغداد بأن ثورة حدثت في طهران كالتي في بغداد، وشاع الخبر ووصل إلى القنصل البريطاني وكنا قد عينا ضابطاً مع فصيل مشاة لحماية القنصلية واتصل بنا الضابط المسؤول هناك قائلاً: إن القنصل ينفي هذا الخبر، ولما سألناه عن مصدر نفيه قال إنه استمع إلى إذاعة طهران فوجدها طبيعية ولم أجد تعليلاً بتصرف هذا الضابط إلا الرغبة في المزاح في مثل هذه الظروف الصعبة.

حضر إلى النادي العسكري عدد من المدنيين يهنئون آمر الفوج بالثورة وبقي أحدهم أكثر من ساعتين شغل آمر الفوج عن كثير من واجباته، ولما انصرف قال لي آمر الفوج: إن هذا الشخص كان يريد منه تأييده للانتخابات عند حدوثها، وكان متأثراً منه وتوالت الزيارات وتوالت الاقتراحات حول التعيين والعزل للكثير من الموظفين كلٌّ على هواه، ولم يزل آمر الفوج يداري هذا وذاك، ويصرف الجميع دون إعطائهم وعداً أو نتيجة. بعدها حضر آمر اللواء الجديد عبد الوهاب الشواف إلى النادي ولأول مرة شاهدته وبالطبع أسرعنا إليه بالسلام والتهنئة لنجاح الثورة إلا أنه لم يعر ذلك اهتماماً، وأبدى عدم الاكتراث وتحدث بأشياء ظهر منها أنه مستاء من تعيينه في الموصل.

في يوم ١٦/ تموز وصلت أخبار عن وجود خلافات بين عشائر شمر والبومتيوت العربية في وضع يخشى منه اصطدامهم فأرسل اللواء المقدم كامل

طه الدبوني[1] والمقدم الركن علي توفيق[2] فأسكنا غضبهم وأخذا منهم التأييد وعادا مشكورين.

استمر آمر اللواء الجديد في واجباته وكان يستقبل جموع المواطنين المهنئين بالثورة في النادي العسكري بعد الدوام، وكانت طلبات المواطنين باعتقال فلان أو نقل فلان أو عزل فلان إلا أنه وقف موقفاً صلباً من ذلك وأفهم الجميع أنه لا يريد الإساءة إلى أحد وأنه يحاسب الناس اعتباراً من هذا اليوم، أما قبل الثورة فيترك ذلك إلى الجهات العليا فلم يرق ذلك كثيراً من الناس فعمدوا إلى الإشاعات المغرضة عن وجود أسلحة في دار فلان وفلان، ولكنه بقي على صلابته ولم يؤذ أحداً وكلّ ما فعله هو التحري في بعض الدور فتبيّن له عدم صحة الأخبار.

وردت برقيات من مقر الثورة تطلب اعتقال عدد من المواطنين مما اضطر آمر اللواء إلى تنفيذ ذلك وهو متألم وبعد أيام قليلة عاد المعتقلون من بغداد وقد أفرجت عنهم السلطات، واستقبلوا بالموصل استقبالاً حاراً، وسمعت الشواف يقول: لم أر شغباً كالذي رأيته تجاه هؤلاء الأشخاص، ودهشت عندما لم يذهب أي شخص للشهادة ضدهم، وعجبت من استقبال الناس لهم، وربما كان من بين المستقبلين بعض من شاغبوا عليهم.

لم يرق تصرف الشواف لكثير من الضباط، وأخذت الإشاعات بينهم تنال منه، ووصف بأوصاف غير لطيفة وأنه لا يستحق المنصب الذي هو فيه

---

(١) كامل طه الدبوني كان يعمل آمراً لسرية المقر في ف ٢ ل ٥ ومن خيرة الضباط ويتصف بحدة الذهن والكرم لم أر مثله في إخلاصه لبلده عملت معه عدة سنين ولم أر منه إلا كل خير في السراء والضراء، وهو من عائلة معروفة بالموصل في مواقفها الوطنية.

(٢) المقدم الركن علي توفيق من أسرة النجفي بالموصل، عمل ضابطاً في مقر الشواف ثم نقل إلى عقرة، وعين فيها آمراً للحامية، وهو من الضباط الذين اعتمد عليهم ناظم الطبقجلي في تنظيم الثورة في الموصل، رجل مؤمن بالله إيماناً لا يتزعزع استشهد في سبيل الله وهو راضٍ.

وأنه يكره الثورة وقد أرسل هؤلاء الضباط أحدهم إلى بغداد لمواجهة عبد السلام عارف إلا أن الدراجي[١] المطلع على أمور الثورة والمشترك فيها نصحه بالعودة من حيث أتى قائلاً له إن الشواف من قادة الهيئة المركزية للثورة وأنه من خيرة الضباط الأحرار، وإنه مخلص. ولما عاد الضابط وأخبر من أرسله بما قال له الدراجي أحاطوا بالشواف من جميع الجوانب واطمأنوا به، وأخلصوا له، وأصبح عندهم مثلهم الأعلى.

لم يكن لدى الضباط عند اجتماعهم إلا الحديث عن الأوضاع والتغيرات وعن الوحدة العربية، وعن طغيان العهد الملكي، ولم يكن يجسر أحد منهم في الحديث عما أصاب الجيش من خسران نتيجة إخراج عدد كبير من الضباط ذوي الرتب العالية وكان قسم منهم من المفكرين والقادة النادرين، والذين خسرهم الجيش أولاً والبلد ثانياً. كما كنت أسمع من بعض الضباط أسفهم لمقتل الأبرياء نتيجة التسرع. أما مقتل الملك فيصل الثاني فقد لزم الجميع الصمت تجاهه، وكان جمال عبد الناصر يمثل المكانة الكبرى، وعندما حاول العقيد جورج عزيز مدير تجنيد الموصل الاستهجان به اتخذت التدابير لسوقه إلى المحكمة والحكم عليه بالسجن، وهكذا بدت الأمور أن الجولة لصالح جمال عبد الناصر.

كان لعبد السلام عارف أول أيام الثورة مكانة كبيرة، ويعتقد الكثيرون أنه هو القائد للثورة وموجهها والمسؤول عنها، ولما زار الموصل كانت الألوف المؤلفة تنتظر وصوله في ساحة المطار الواسعة، وكانت الشعارات المرفوعة يمكن الحكم منها على التيارات السياسية في البلد هذا يرفع شعار الوحدة وألوف وراءه تهتف وحدة وحدة وآخرون يهتفون اتحاد فدرالي، وقد خطب بهم عبد السلام خطاباً مرتجلاً هاجم فيه الاستعمار والأغنياء والشعوبيين

(١) عبد اللطيف الدراجي عقيد في الجيش ومن الضباط الممتازين، وممن اشترك في ثورة ١٤ تموز واستمر في الحكم مع عبد السلام عارف وقتل معه عند سقوط الطائرة بهم قرب البصرة.

بعباراته التي كانت تعتبر إثارة للجماهير، والتي لم يرض عنها البعض، ولما انتهى من خطابه وجه كلامه لي قائلاً أين والدك[١] فوعدته بحضوره، فقال لي: لقد حولت نظري عدة مرات أثناء الخطاب أفتش عن الفينه فلم أجدها

---

(١) والدي إسماعيل مصطفى الكتبي من علماء الموصل، وله ترجمة في كتاب علماء الموصل الجزء الثاني، وكان إماماً في جامع المتعافي وخطيباً في جامع الشيخ محمد ويدير مكتبة في شارع النجفي (مكتبة الشرق) وصديقاً لعبد السلام عارف منذ أن كان برتبة رئيس يعمل في اللواء الخامس في الموصل ويحضر الدروس الدينية التي يلقيها والدي بعد صلاة الصبح في جامع المتعافي، وكثيراً ما يحضر عنده في المكتبة وكانت تحدث بينهما مناقشات كثيرة، وكان عبد السلام عارف يكنّ لوالدي كل تقدير ويؤمن بأفكاره السلفية، ولما لم يشاهده في ساحة المطار في أول زيارة له للموصل بعد الثورة تألم لذلك وسألني عن السبب، والواقع أن والدي ألح عليّ بضرورة الخروج لاستقباله لما بينهما من علاقات تحتم عليه ذلك، ولكني قلت له يا أبتي انتظر فإن عبد السلام عارف اليوم ليس كالأمس، فإن كان مخلصاً في صداقته فسوف يسأل عنك، وإن كانت المناصب والقيام بالثورة قد أنسته أصدقاءه فسوف لن تندم على عدم خروجك، إلا أن عبد السلام عارف سأل عنه وطلب مواجهته، ولما حضر عنده في النادي العسكري كان اللقاء حارًّا وقال له عبد السلام: كيف لا تخرج لاستقبالي والله إني ليلة تنفيذ الثورة لم أتذكر إن فشلت الثورة ماذا سيحلّ بأهلي وأطفالي، ولكني تذكرتك وما سيصيبك من ألم بعدها. وتحدثا بأمور كثيرة وسأله والدي هل صحيح أن عبد الكريم قاسم لا ينتصر للوحدة العربية أجابه - شكوا بي ولا تشكوا بالزعيم - ويقصد عبد الكريم قاسم ولما طلب منه والدي طمأنة القسس الفرنسيين الذين يعملون في دار للتبشير خاصة بهم في الموصل إثر حوادث حملته على ذلك قال أُطمئنهم أم أطردهم إنهم جواسيس وقد جلبت هذه الصداقة لوالدي كثيراً من الأذى فقد اعتقل أيام المد الشيوعي متهماً بصداقته لعبد السلام عارف ومن المؤيدين له وكان الشيوعيون يخشون والدي ويريدون التخلص منه، ولم يكن وقوفه أمام التيار الشيوعي كونه صديقاً لعبد السلام فحسب، بل لأنه يرى في الشيوعية استعباداً للبشر وإلحاداً وأن من واجب كل مسلم أن يبين للناس خطرهم، وله مقالات وخطب تشرح ذلك مفصلاً ولولا انحسار المد الشيوعي لكان من الصعب الإفلات منهم. ولما تولى عبد السلام عارف رئاسة الجمهورية عام ١٩٦٣ كان =

(والفينه الطربوش حيث كان والدي يرتدي هذا الزي) وعندما غادر المكان حملت الجماهير سيارته ولم تكتف بذلك بل احتشدت في كل مكان على الشارع العام المؤدي إلى الجامع الكبير، وتعذر وصوله لأداء فريضة الجمعة مما اضطر المسؤولين من سلك طرق فرعية للوصول إلى الجامع بحيث لم يشعر بهم أحد، وختم زيارته في خطاب ألقاه على عدد من الضباط في النادي العسكري قائلاً لهم: إن الشعب الذي تسمعون هتافه اليوم بحياة عبد السلام لا يستبعد أن يهتف غداً مطالباً بإعدام عبد السلام حيث إن المواطنين بسطاء، وإن الموجهين لهم هم الذين يجب أن يُخشى منهم، وترك عبد السلام عارف الموصل تاركاً وراءه آلافاً من البشر بدأت تتهيأ لمعركة الأحزاب القومية والشيوعية والإسلامية، وظهرت بوادرها بقيام مظاهرة في شوارع الموصل تهتف بحياة السوفييت والاتحاد الفدرالي مما اضطر الجيش لتفريقها بالقوة، وحدثت مصادمات بين القوى القومية والشيوعية، وأول ذلك كان عند خروج الناس من سينما غازي الواقعة في مركز الموصل، وكان الفيلم المعروض فيلم بور سعيد فهاجم الشيوعيون المشاهدين عند خروجهم من السينما باعتبارهم قوميين مما اضطر الشرطة لاعتقال الطرفين، وكان أخي نذير من جملة المعتقلين القوميين وأرسل إلى سجن الموصل، ولما راجعت المسؤول في الشرطة علمت أن الشيوعيين قد تم إطلاق سراحهم بأمر من الحاكم العسكري

= والدي كثير التردد إليه ويحضر الاحتفالات لاستقباله ويلقي الخطب وخاصة في الاتحاد الاشتراكي وقد بقي وفيًّا له ومخلصاً، وتألم كثيراً لموته ولما تولى عبد الرحمن عارف الرئاسة من بعده كان يسأل عن والدي ويتفقده عند زيارته للموصل، وذلك وفاءً لأخيه. ووالدي حسن الظن بعبد السلام عارف إلا أنه كان يقول لي: إن عبد السلام يحتاج إلى زمرة حوله من الذين يؤمنون بالله ثم يرون مصلحة البلد. وكان لعبد السلام عارف أصدقاء في الموصل منهم الشيخ بشير السقال والمحامي فيصل كشمولة وعبد الرحمن إرحيم (من التجار) والدكتور وجيه زين العابدين وغيرهم ومن العسكريين الحاج محمود شيت خطاب ورشيد سعيد وكامل الدبوني وشاكر السامرائي وغيرهم كثير.

وبقي القوميون، فواجهت الشواف وأخبرته بذلك، فحاول إخراج القوميين من التوقيف فلم يوفق بادئ الأمر، ثم سافر في نفس اليوم إلى بغداد وعاد منها في اليوم الثاني وهو يحمل أمر الإفراج عن القوميين. ولما خرج أخي نذير تحدث عن الحالة داخل السجن وكيف أن السجناء منقسمون كذلك وكيف أن الشيوعيين سلبوا ساعته اليدوية وحاولوا إيذاءه وأن سيطرة مدير السجن ضعيفة. بعدها شكرت الشواف على مساعدته لأخي واهتمامه بأمره. وعاد نذير إلى مدرسته (المتوسطة) يفخر بأنّ الشواف وقف إلى جانبه.

فجأة اختفت تصاوير عبد الناصر وعبد السلام عارف من كثير من الأماكن، وظهرت الإشاعات تهاجم بشدة وقوة منتقدة خطب عارف وتصرفاته، وفهمت بعد أيام أن الشيوعيين أصدروا أوامرهم بتحطيم عبد السلام ورفع عبد الكريم قاسم، وعلى حين غرة ظهر عدد من النصارى يؤيدون ذلك، وبدت أنشطتهم في هذا المجال على غير المعروف عنهم سابقاً بلزوم جانب الحياد، وسمعت أن بعض الكنائس سُخرت لذلك، علماً أن النصارى في الموصل يؤلفون عدداً لا بأس به من السكان ولست منتقداً تأييدهم إلى حزب أو مبدأ ولكني أنتقد سلوك كثير من شبابهم الإجرامي والمشاركين في إيذاء غير الشيوعيين، ولست بحاجة لتفصيل ذلك فأهل الموصل يعرفون جيداً الذي حدث وإن كنا نرغب السكوت عنه والاكتفاء بالتلميح لما في ذلك من طي الماضي البغيض أيام المد الشيوعي، ولا ينطبق ذلك على الجميع، حيث كان هناك أسرة تسكن قرب دارنا بقيت على وفائها، ومهما كانت الدوافع لهم إلا أنه كان عليهم عدم التورط في إيذاء المواطنين.

في يوم زرت أحد معارفي من المحامين الذي تربطني به علاقة قوية وصادف أثناء زيارتي اتصال المحامي غربي الحاج أحمد الذي عين مديراً للدعاية في أول الثورة والذي زاره عبد السلام عارف في مكتبه وكانت إحدى الفنانات التي تعمل في الإذاعة عنده فجلب ذلك غضب عبد السلام وعزله عن منصبه وعين مكانه السيد سليم الفخري الذي كان يؤيد الشيوعين، ولما انتهت المكالمة بينه وبين المحامي فهمت بأن صديق شنشل السياسي المعروف قد

طمأنه بأنه يأخذ العدة للنيل من عبد السلام انتقاماً لتصرفه. وهكذا بدأت الانقسامات بين أفراد الحكومة وأفراد الشعب لصالح المنظمة الشيوعية التي بدأت تتحدى كل شيء وحاولت قوات الأمن والشرطة الوقوف في وجهها ومنع حملتها إلا أنها لم توفق إذ لم يعد لها أي سلطة في هذا المجال، وظهرت عناصر الشباب القومي تكافح وترفع صوتها وظهرت القوة الإسلامية للعمل ولكن كلا القوتين لم تكن من التنظيم لتقف أمام الطغيان الشيوعي، وعندما زار النقيب عبد الجواد حميد الذي شارك في الهجوم على بغداد آمراً لسرية المشاة التي هاجمت القصر الملكي ومن اللواء العشرين تحدثت معه عن الاتجاهات الشيوعية التي يؤيدها عبد الكريم قاسم فقال: لا يمكن أن تكون هناك سيطرة شيوعية وإنه مستعد للتضحية مرة أخرى إذا حدث ذلك، وقد وفى بما قال رحمه الله رحمة واسعة حيث قتل بعد القبض عليه قرب دورة المحاكم بالموصل. وعلى سبيل ذكر النقيب عبد الجواد حميد فمن الأفضل التحدث عما سمعته منه شخصيًّا عن كيفية اشتراكه بالثورة ومهاجمته القصر الملكي وعن مقتل الملك والوصي والأسرة المالكة أمام عينيه وعن بعض الأمور قبل ثورة ١٤ تموز وعبد الجواد كان يعمل معي في ف ٢ ل ٥ وفي نفس السرية وكان مخلصاً لأصدقائه قال:

قبل الثورة بعدة أشهر كنت أعمل في جلولاء في اللواء العشرين وكنت راغباً بالاستقالة من الجيش، وقدمت عريضتي أطلب فيها إحالتي على التقاعد، وكان عبد السلام عارف يعمل في اللواء كضابط ركن لما علم بالأمر استدعاني إلى داره وبيّن لي ضرورة الاستمرار بالخدمة في الجيش، وأكد لي أن لديه مهمة يريد تكليفي بها في المستقبل، وتكلّم معي في أسلوب جعلني أعدل عن فكرة الاستقالة إلا أنه لم يبين لي حقيقة أمره، وبقيت في حيرة من هذا الواجب المهم، وبمضي الوقت علمت بوجود تشكيل للضباط الأحرار ويوم سفرنا إلى بغداد صحبة اللواء ليلة ١٤/ تموز علمت كل شيء، وأثناء تفتيش اللواء من قبل قائد الفرقة غازي الداغستاني قال لي قسم من الضباط الذين فاتحتهم بالأمر هل يمكن أن يكون قائد الفرقة غازي الداغستاني قائداً للثورة

... ولم أتمكن من الجواب لعدم معرفتي بذلك، ولما تحرك اللواء بعد التفتيش باتجاه بغداد وعند بلدة بعقوبة تم اعتقال غازي الداغستاني، ولما وصلنا إلى خان بني سعد التي تبعد عن بغداد بضع كيلومترات توقفت أفواج اللواء عن الحركة تاركة مقر اللواء يندفع إلى الأمام ومعه آمر اللواء أحمد حقي محمدرعلي ثم طلب عبد السلام عارف الضباط وأصدر إليهم التعليمات حول واجباتهم وأفهمهم بأنهم سيقومون بالسيطرة على بغداد لإنهاء الحكم الملكي وأنه أصبح آمراً للوائهم، وطلب اعتقال آمر الفوج الثاني من اللواء العشرين العقيد ياسين محمد رؤوف إلا أن الضباط ترددوا في اعتقاله مما اضطر عبد السلام لاعتقاله بنفسه، ثم طلب مني اعتقال إبراهيم قسطو أحد آمري السرايا فقلت له: إن هذا الضابط لا يعرف شيء عن الحركة، والأحسن تركه آمراً لسريته فإن أيد تركناه وإن خالف اعتقلناه فدعاه عبد السلام وضربه بالعصا على ظهره وقال له من آمر لواءك قال إبراهيم: آمري أحمد حقي محمدرعلي. قال: لا، آمرك عبد السلام عارف، وآمر فوجك عادل جلال، وواجبك كذا وكذا، وإننا سنقوم بثورة، فأخذ إبراهيم يركض ويصيح ثورة ... ثورة ... وقصده الإفلات من قبضة عبد السلام وكلفناه بواجب حماية سفارة الجمهورية العربية المتحدة التي احتمى بها الناس يوم ١٤/ تموز، ولما دخلنا بغداد اختفى إبراهيم قسطو في دار أخته ومعه مخازن الرشاشات ولما نجحت الثورة خرج مدعياً أنه من أصحابها. ثم عاد عبد الجواد للحديث ليصف دخولهم بغداد وكيف أن الأدلاء حضروا إلى خارج بغداد كل يوجه السرية أو الفوج إلى واجباتهم، وكان واجب عبد الجواد مع سريته وسرية أخرى احتلال قصر الرحاب إلا أن آمر السرية الذي كان المفروض أن يساعده تملص من واجبه واختفى ولم يظهر إلا بعد انتهاء احتلال القصر وقال: كان العتاد قليلاً وغير متيسر بالقرب منهم، ولما وصلوا إلى مقابل قصر الرحاب أوقف سيارات سريته وترجل الجميع منها ووقفوا على الطريق العام كأنهم في واجب سلمي ثم تقدم هو إلى نقطة الحرس في الجهة الغربية من القصر، فدعا آمر الحرس، فجاءه مسرعاً وأدى له التحية وقال له: دع جنودك يتركون سلاحهم، فأمر آمر

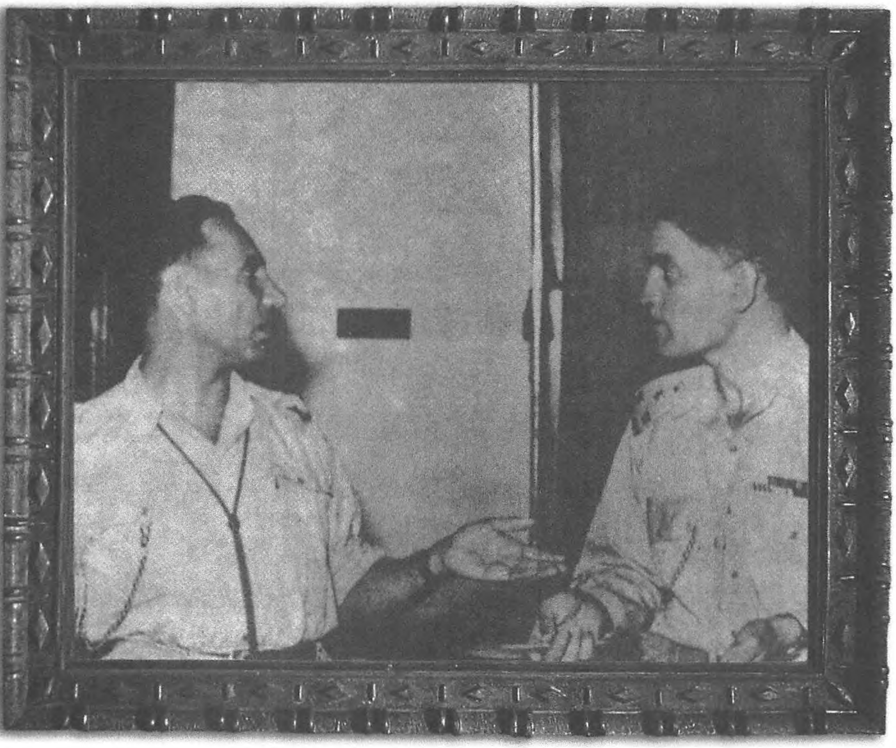
الحرس جنوده بالتسليم ثم كلف أحد الضباط باتباع نفس الأسلوب مع بقية نقاط الحرس وذهب عبد الجواد يصحبه بعض الجنود إلى الباب النظامي ففاجأتهم نقطة الحرس، بالرمي فلم يتمكنوا من الدخول، وأخذت الفصائل التي وزعها يمين ويسار القصر بالرمي فنفد عتادهم، وهنا ظهر الملك مع جماعته يريدون الخروج من خلف القصر ولكنهم عادوا لما رأوا الجنود يحيطون بالقصر، وقال عبد الجواد: لو أن الملك ومن معه خرجوا إلى الجنود لأدّى لهم الجنود التحية ولتركوهم لأنهم لم يكونوا على بينة من الأمر عدا عدد قليل من ضباط الصف.

ثم خرج الرئيس سالم رشيد من القصر يحمل علماً أبيض فأخذ عبد الجواد سلاحه وأفهمه الموضوع فطلب سالم الاتصال بعبد السلام فنصحه بأن لا يفعل ذلك لأنّ كل شيء قد انتهى، ثم حضر أحد الضباط التلاميذ من مدرسة الأسلحة (مدرسة المشاة الواقعة في معسكر الوشاش وطريق الذهاب إليها يمر من أمام القصر) وسئل هذا الضابط عما يفعلونه فأخبره بما هم عليه وأن عتادهم قد نفد فذهب هذا الضابط مسرعاً ثم عاد بعد فترة وجيزة ومعه عدد من الضباط والأسلحة ومدفع ضد الدبابات فهاجم القصر، ودخلوه ووقفوا أمام باب القصر الكبير ينظرون إلى النيران تشتعل داخله، وبعد قليل خرج الملك ومن معه من الباب الصغير في غربي القصر وهم يسيرون صفاً واحداً يتقدمهم عبد الإله ويسحب بيده والدته ثم الملك فيصل ثم بقية الأسرة، ومنهم الرئيس ثابت يونس أحد ضباط الحرس الملكي، وحدثت فترة من الصمت قطعها مجيء الرئيس مصطفى عبد الله من أهالي السليمانية وهو في حالة عصبية يحمل رشاشة من نوع أستن بيده ومن شدة عصبيته أخذت الإطلاقات تخرج من الرشاشة دون سيطرته مما أدى بالرئيس ثابت للصياح عليه وبصوت مرن طالباً منه الكفّ عن الرمي، ولما لم ينقطع الرمي رفع الرئيس ثابت مسدسه ورمى به الرئيس مصطفى عبد الله فأصابه في كتفه وكانت إطلاقة الرئيس ثابت بمثابة الإيعاز لجميع من حضروا بالرمي، فأخذت الأسلحة الرشاشات والبنادق ترمى على الملك ومن معه وسقطوا كاللوح على الأرض

ثم اقتربنا منهم فوجدنا زوجة عبد الإله حية تنادي بحالة عصبية أنها ليست منهم، فنقلوها إلى المستشفى ثم حضر أحد سائقي السيارات العائدة للسرية وحمل قسماً من الجثث في سيارته، وكان من بينها جثة عبد الإلٰه (ولم يأخذ أحد جثة الملك) ثم طافوا بها بالشوارع وهنا اتصلت بعبد السلام وأخبرته بانتهاء الواجب، ثم جمعت السرية واشتريت لهم (ركي) وأطعمتهم ونظرت إلى ما حولي وكأن شيئاً لم يكن، فالسيارات الأهلية وحافلات أمانة العاصمة تسير على الشارع العام والناس فيها يظنون أن الجيش لديه واجبات تدريبية كما أن قسماً من فصائل الشرطة التي كانت تستعد لتحية الملك وهي بلباسها الرسمي وبيدها السيوف كانت بالقرب من الشارع الرئيسي، وحضر أحدهم للاستفسار من رئيس عرفاء السرية عما يحدث، هدده الأخير بالقتل فعاد من حيث أتى، ثم قام عبد الجواد بحراسة القصر وحديقته، وأدخل جنود الحرس الملكي في إحدى القاعات وأمرهم بعدم الخروج، واستلم مفاتيح المشاجب، وعندما أراد أحد ضباط صف الحرس الاتصال بالجنود أوجعه ضرباً، وبقي بالقصر إلى يوم ١٥/ تموز حيث سحبت السرية إلى واجب آخر.

ثم استطرد عبد الجواد قائلاً: إنه في يوم ١٦ تموز كان بالقرب من المقبرة التركية وقد علم بمكان دفن نوري السعيد، وكان الناس من المدنيين يلحون عليه لمعرفة مكان الدفن، فمانعهم في بادئ الأمر ولكنهم ألحوا عليه كثيراً، ولما ضجر منهم أمر أحد ضباط الصف أن يدلهم، وبسرعة كانت جثة نوري السعيد خارج القبر تسحل في الشوارع. انتهى حديث عبد الجواد عن هذه المأساة التي وقعت وذهب ضحيتها أبرياء وعلى رأسهم الملك.

سألت عبد الجواد عما إذا كان القتل بأمر من عبد السلام أو غيره قال: إنه شخصياً لم يستلم هكذا أمر وإن القتل كما وصف أعلاه، وأكد إن عدد الضباط الذين اشتركوا بالقتل ستة عشر ضابطاً كان أنشطهم النقيب عبد الستار سبع أحد ضباط مدرسة المشاة، وهو الذي رمى بالمدفع على القصر كما ذكر إن أكثر اللواء العشرين اتجه إلى خارج بغداد في بادئ الأمر هرباً من المسؤولية، ولما سمع صوت عبد السلام من الإذاعة عاد إلى واجبه وقسماً



عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف
في بداية أيام الثورة

منهم بقي إلى وقت متأخر، وكان عبد السلام بعد إذاعته البيان رقم (١) يقف عند جسر الخر ليمنع دخول قوات من جهة الغرب إلى بغداد، وكان هائجاً وكالأسد الذي أحيط بالخطر ينادي على هذا ويؤكد على هذا ويتصل بهذا ويذهب سريعاً بسيارته لتفتيش نقطة أو للوقوف على حقيقة حادثة وإن نشاطه واندفاعه كان السبب الرئيسي في نجاح الحركة.

بعد نجاح الثورة عرض عبد السلام على عبد الجواد أن يختار أي مكان في الجيش لينقله إليها، فاختار الموصل وطلب تعيينه آمراً للانضباط فيها إلا أن عبد السلام قال له إن هناك الرائد سعيد حسين رجل طيب ومخلص ولا يريد أن ينقله من مكانه، فاختار عبد الجواد أن يكون معاوناً لسرية الإسناد في ف ٢ ل

٥ فتم له ذلك، كما نقل المقدم خضر محمد الذي شارك في اللواء العشرين إلى مقر اللواء الخامس، ونقل المقدم إبراهيم قسطو إلى مساعد ف ٢ ل ٥، ثم عيّن آمراً للسرية الثانية في الفوج المذكور.

نعود الآن إلى الحديث عن الوضع في الموصل بعد زيارة عبد السلام الأولى حيث أخذت جماهير الغوغاء تسيطر على البلد ولم تعد للحكومة أي هيبة واحتلت دوائر الدولة ولم يستطع أحد من الموظفين تطبيق القانون في أي دائرة سواء كانت المحاكم أو التجنيد أو غيرها، ولم يعد الموظف يسمع إلا كلمات خادم العهد البائد، أنصار نوري السعيد، خادم المستعمرين، وعمَّ ذلك في الأقضية والنواحي، ولما لم يكن لدى القائمقامين والمتصرفين صلاحيات التوقيف إلا بأمر من الحاكم العسكري فقد شجع ذلك الشيوعيين لمهاجمة الموظفين ومحاولة النيل من كثير من المواطنين، وكنت كلما سنحت لي الفرصة للتحدث مع الشواف في النادي العسكري حول الأوضاع كان جوابه لي: (هذه هي الحرية التي أردتموها) فلم يكن الشواف يرغب بتلك الأوضاع، ولم يكن راضياً عن تعيينه في الموصل نتيجة الثورة، وكان جل اهتمامه في تشكيل مجلس لقيادة الثورة لمنع تسرب الشيوعيين للحكم، وإنه يعتقد أن عبد السلام هو المسؤول عند عدم التشكيل، وكان مخلصاً لعبد الكريم قاسم في البداية إلا أنه غيَّر اتجاهه عند عودته من بغداد في إحدى سفراته إليها وكشفه آثار التقدم الشيوعي، ومحاولة الشيوعيين السيطرة على الحكم، وقال لي بأنه آخر من فكر في خيانة عبد الكريم قاسم إلا أن مصلحة البلد على ما يظهر ستحمله على خيانته، وتحدث عن الأوضاع في بغداد وعن المقاومة الشعبية وسلوكها وأعمالها تجاه المواطنين، وتأييد قاسم لها، كما تحدث من أنه سمع قاسم يصف إحدى الصحف القومية بالخسة والنذالة، ويكيل لجريدة اتحاد الشعب المدح والثناء ذلك لأنها كانت تصفه بالنقاب أقرب إلى الألوهية على العكس من الجريدة القومية التي أهملت ذلك، وقبل أن يتجه الشواف هذا الاتجاه كانت إشاعات كثيرة تتحدث عن خيانته في بغداد وامتلأت كثير من الجدران بشعارات ضده وأنه خائن كما أن إخوانه في بغداد تحدثوا معه عن

ذلك، وأنهم يخشون عليه وعلى أنفسهم، ويعلّل الشواف ذلك بأنّ الشيوعيين عرضوا عليه التعاون معهم إلا أنه رفض ذلك، وأنه أخبر عبد الكريم حولها فاستصحبه قاسم بسيارته الخاصة وطاف به شوارع بغداد فهدأت الإشاعات، وقالت له أخته وكانت مدرّسة في إحدى مدارس بغداد بأنها لما ذهبت إلى مدرستها بعد جولته مع قاسم في شوارع بغداد سمعت من المدرّسات من يقول لها (إذاً لم يكن أخوك من الخونة).

دون سابق إنذار أذاعت بغداد عزل عبد السلام عارف عن منصب نائب رئيس الوزراء ونائب القائد العام للقوات المسلحة، ثم تلا ذلك عزله نهائياً عن جميع المناصب وتعيينه سفيراً للعراق في بون عاصمة ألمانيا الغربية وأصبح الناس حائرين من هذه التغيرات وعلل الطيب منهم ذلك للمصلحة العامة. أما الشيوعيون فقد اتخذوا ذلك ذريعة لمهاجمة القوميين ووصفهم بالخونة، وعند سؤالي الدكتور تقي الدين الهلالي[١] عن رأيه حول التغيرات قال: نرجو أن يكون ذلك في مصلحة البلد، ولما سألته هل يمكن أن يكون ذلك منعاً للشائعات القائلة بوجود رئيسين في الدولة؟ قال: إنكم تقولون ذلك والحقيقة أن واحداً رئيس للوزراء والثاني نائبه، ولما سألته عن سبب اتجاه كثير من

---

(١) الدكتور تقي الدين الهلالي من أعلام المسلمين ومن خيرة العلماء وهو موسوعة علمية يندر وجود مثله ويمكن الاطلاع على تآليفه الكثيرة للحكم على مدى صحة هذا القول كان من أهل الحديث وعلى طريق السلف الصالح وداعياً للتوحيد، وأصله من المغرب وهرب منه تخلصاً من شر الفرنسيين، وعاش في الحرب العالمية الأولى في برلين، وذهب بعدها إلى السعودية ثم الهند وأفغانستان، وسكن العراق واعتز به وتزوج امرأة من الزبير (قرية قرب البصرة) وأنجب منها. محباً للعراق محباً للموصل بصورة خاصة وأصبح أستاذاً في كلية الملكة عالية في بغداد قبل ١٤ تموز وهرب إلى المغرب أثناء المد الشيوعي كان يلتقي مع عبد السلام في مكتبة والدي وكان يقول لعبد السلام: إنكم - ويقصد ضباط الجيش - مرتزقة لا تستطيعون القضاء على نوري السعيد، ولما التقيت مع عبد السلام بعد الثورة قال لي: قل للدكتور تقي الدين أبي شكيب هل غيّر رأيه فينا؟.

الأكراد نحو الشيوعية رغم ما نسمع عنهم بتعصبهم للدين قال إن كثيراً من شبابهم فاسد وإن التعصب للدين موجود لدى الشيوخ فقط، وسألته هل يؤثر عزل عبد السلام على مسيرة الوحدة؟ قال: نعم ولكن لا يستطيع الشيوعيون وغير الشيوعيين الوقوف تجاه تيار الوحدة الذي يندفع من المحيط إلى الخليج.

في كل يوم كانت الأنباء تأتي من بغداد وكلها مؤلمة لما يسودها من القلق وسيطرة المقاومة الشعبية في الطرقات والدوائر والمقاهي والسينمات وفي كل مكان وعن إيذائها الناس، وكل من يعترض عليهم يُتهم بالتآمر وأنه عدو للشعب وكانت محكمة الشعب التي استحدثت بعد الثورة قد انحدرت إلى مستوى تأييد الشيوعية وأصبح رئيسها المهداوي[١] من على منبر المحكمة خير مؤيد لهم، وكان لسانه الطويل والبذيء حقاً وسيلة للإعلان عن قرب تسلمهم الحكم، وكانت الهتافات داخل المحكمة (حزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي) وقد سمعتها بأذنيّ أثناء محاكمتي بينما كانت تصريحات عبد الكريم قاسم بأنه فوق الميول والاتجاهات، وهذا التناقض وهذا الوضع القلق والغوغائي جعل كثيراً من الناس يتحدثون عن ضرورة معالجة الأوضاع وإنقاذ بغداد خاصة والعراق عامة. ولم يكن قانون الإصلاح الزراعي وإصداره يوم إخراج عبد السلام المراد منه خدمة الفلاح، بل كان الغرض منه كسب الفلاح ومنعه من تأييد عبد السلام - إن كان هناك من يؤيده - ولقد كان إصداره بصورة مستعجلة وغير مدروسة تماماً، وهذا أحد أسباب فشله. والغريب أن الشيوعيين الذين لا يوافقهم هذا القانون صفقوا له وشجعوا عليه وأظهروا أنهم الذين صنعوه، ولعب الشيوعيون دورهم فأقاموا الجمعيات الفلاحية ومنظمات

(١) المهداوي: عقيد في الجيش ومن أقرباء عبد الكريم قاسم بذيء اللسان وجاهل ومع الأسف ذهب ضحية أحكامه الجائرة خيرة رجال العراق. ويعتبر من المهرجين وأيد الشيوعيين تأييداً مطلقاً، وتعتبر تصرفاته وأحكامه إهانة للعدالة، وحوكم يوم الثورة وكان منهاراً، وأعدم رمياً بالرصاص.

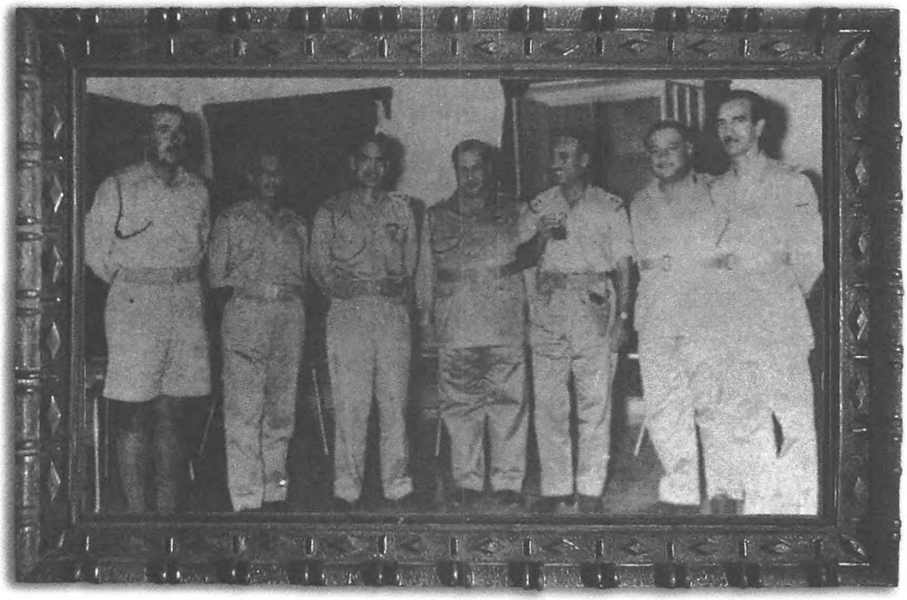
المقاومة الشعبية ونقابات العمال ومنظمات النساء وجاؤوا إليها بكل من يؤيدهم حتى أنهم تمكنوا يوم اعتقال عبد السلام[1] من إخراج أكبر مظاهرات تسير في بغداد تنادي لمصالحهم قدر عددها بأكثر من ربع مليون شخص ثم تلا ذلك محاكمة رشيد عالي الكيلاني[2] وإخراج عدد كبير من الضباط وعدد من الوزراء وتسليم مناصبهم إلى من يؤيدهم ووصل وضع العراق إلى أسوأ وضع يمكن إجماله كالآتي:

منظمات المقاومة الشعبية من الرجال والنساء تجوب الشوارع والمقاهي تفتش هذا وتضرب ذاك وتطلب من الناس الرقص معهم وشتم القوميين واتهام الناس بالمؤامرات وتعتقلهم، وكان نشاط هؤلاء في بغداد أكثر من غيرها من الأماكن حتى إن كثيراً من الناس لزموا دورهم وفكر قسم منهم في الهجرة من بغداد، كما كانت إذاعة بغداد تهاجم كل من يقف في وجههم، وتكيل المدح لرؤسائهم بأسلوب منظم مدروس، ناهيك عن منبر

---

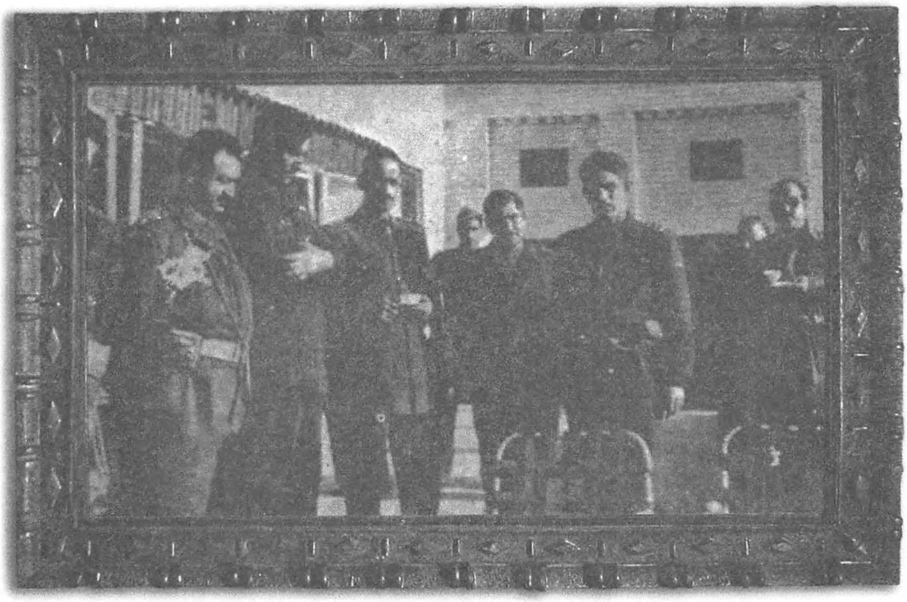
(١) كان عبد السلام عارف قد عين سفيراً للعراق في بون، وسافر إليها ولم يمكث إلا قليلاً حتى عاد منها بدون سابق إنذار فواجه عبد الكريم قاسم وادعى الأخير أنه أراد قتله وقدم إلى محكمة المهداوي بتهمة محاولة القتل، وحكم عليه بالإعدام، وأحيلت أوراقه إلى عبد الكريم قاسم الذي احتفظ بها ولم يؤشر تنفيذ الحكم. كنت واقفاً بجانب الشواف في إحدى غرف النادي العسكري وكان الراديو ينقل وقائع محاكمة عبدالسلام عارف ولما قرأ قرار التجريم وحكم عليه بالإعدام تأثر الشواف كثيراً ولعن قارئه وشتم المهداوي شتماً مقذعاً وقال (مو هكذا كلنالكم) يقصد أن الحكم قاسٍ وخلاف الاتفاق.

(٢) اعتقل رشيد عالي الكيلاني مع قريبه مبدر الكيلاني والمحامي عبد العظيم الراوي بتهمة التآمر ضد الجمهورية، وأحيلوا إلى محكمة المهداوي التي برأت ساحتهم من التهمة وأطلقت سراحهم، وفي نفس اليوم أعيدت نفس المحاكمة مرة ثانية وحكم عليهم بالإعدام، وحدثني رشيد عالي الكيلاني في السجن أنه لم يطلب في المحاكمة الأولى محامياً للدفاع عنه كونه قادراً على ذلك، ولكنه في المحاكمة الثانية طلب تعيين محامٍ وكان غرضه أن يبين للناس أنه حكم عليه بالبراءة ثم أعيدت محاكمته والقانون العراقي لا يبيح ذلك.



عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف مع رئيس أركان الجيش وقادة الفرق.
من اليمين إلى اليسار العقيد الركن خليل سعيد (قائد الفرقة الثالثة)
العميد الركن محيي الدين عبد الحميد (قائد الفرقة الرابعة)
العقيد الركن عبد السلام عارف (معاون القائد العام ووزير الداخلية)
العميد الركن أحمد صالح العبدي (رئيس أركان الجيش والحاكم العسكري العام)
العميد الركن عبد الكريم قاسم (رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة)
العميد الركن عبد العزيز العقيلي (قائد الفرقة الأولى)
العميد الركن ناظم الطبقجلي (قائد الفرقة الثانية)

المهداوي في محكمته، وتدخلوا في جميع دوائر الدولة، واستخدموا الفراشين والموظفين الصغار لإهانة من في الدائرة من الذين لا يسيرون في ركبهم، كذلك كانت الحالة في المدارس والسجون، وخلاصة القول أن الوضع في العراق أصبح مسيطراً عليه من الشارع وموجهاً من قبل ستة عشر سفارة شيوعية كانت كلها في بغداد بالتعاون مع رؤساء الشيوعيين الذين جلبوهم من أنحاء العالم، والذين كانوا ذوي خبرة وتجربة لمنع فشل الحزب من السيطرة على الحكم، وجلبوا معهم ثلاثمائة عضو من منظمة



عبد الكريم قاسم ورفعت الحاج سري وبينهما العقيد عبد الكريم محمد وبجانبه رفعت جلال الأوقاتي ثم عبد الكريم الجدة

حزب تودا الشيوعي الإيراني، ومنحوهم رتب ضباط كل حسب قدمه فعاث هؤلاء فساداً يقتلون ويسجنون بحجة الدفاع عن الجمهورية، كما أصبحت القرى والأرياف تدار من قبل أشخاص غير مسؤولين ولم يعد للقانون أي نفوذ، ولم يتمكن الموظف أو الشرطي القيام بواجبه فقط أن يخضع لهم وينفذ ما يقولون، وهاجموا المنابر وسحبوا الخطباء من عليها بالقوة، وأهانوا المساجد ومحلات العبادة، ومزقوا القرآن الكريم علناً، وكبروا باسم لنين وسمحوا بدخول الكتب الشيوعية إلى العراق ونشرها بين المواطنين، ومن هذه الكتب كتاب الله في قفص الاتهام وكتاب أين الله ومؤلفات لنين ومفكريهم الآخرين، وقد بذل كثير من المسلمين والقوميين قصارى جهدهم للوقوف أمام هذا التيار إلا أنهم لم يكونوا من القوة والتنظيم ما يساعدهم على ذلك، وهكذا اطمأن الشيوعيون إلى أن الحكم صائر إليهم، وقرروا إعلان الحكم بعد عامين من تاريخ ١٤ تموز، وسبب

تأخير ذلك هو الجيش حيث لا يزال يحتفظ بالهدوء والضبط، وقد نصحهم أحد الشيوعيين السوريين بأنّ سبب فشلهم في سوريا هو عدم السيطرة على الجيش، ولذلك قرروا إنشاء المقاومة الشعبية لتقف بوجه الجيش، وحاولوا إيجاد أكبر عدد ممكن من الضباط وضباط الصف للوقوف إلى جانبهم هذا هو مجمل الحالة في العراق قبل ثورة الموصل غليان في غليان وهيجان وهتافات واعتقالات ودعوات بوجود مؤامرات وشعارات خونة.. أنصار العهد البائد ... الذي جعل الناس البعيدين عن الشيوعية والمحبين لبلدهم يتألمون ويتهامسون بينهم حول ضرورة القيام بتصليح الأوضاع وأن الثورة سرقت من قبل الشيوعيين أو أوشكت على ذلك، وأنه حان وقت التضحية.

أما بالنسبة لمدينة الموصل فلم يكن الوضع فيها يختلف عن بقية أنحاء العراق، وكثرت التصرفات المستهجنة. كنت أشاهد وقوف أشخاص وراء منضدة صغيرة في رأس كل شارع يطلبون من الناس التوقيع لتأييد عبد الكريم قاسم، واستلام مبلغ عشرة فلوس أجرة برقيات التأييد وكانوا ينادون (تأييد الزعيم بعشرة فلوس) وقد استخدموا أساليب الزجر والعنف في إجبار الناس على ذلك، وصادف أن حضر المقدم داود محمد أحد ضباط مقرّ اللواء وأخبر الشواف بأن عدداً من النساء شكون له لتعرضهن إلى الإيذاء من هؤلاء الذين يجمعون التواقيع، فأمر الشواف بمنع ذلك. وكانت الوفود من الشيوعيين وغير الشيوعيين يأتون النادي العسكري بعد الدوام ليسلموا ويتحدثوا مع الشواف كل منهم يريد أن يثبت إخلاصه للثورة، وكانت تحدث بينهم مشاحنات كلامية يضجر منها الشواف، وكم نصحهم بالذهاب إلى المتصرف ليسمعهم، ولكنهم كانوا يصرون على محادثته، وقال رئيس أحد الوفود من القوميين إلى رئيس الوفد الشيوعي بعد أن طلب منه الأخير التعاون معهم إنه لا يمكنه ذلك لأنّ الشيوعيين يفضلون روسيا على العراق، ويعتبرون العراق جزءاً من روسيا، وكنت أسمع أكثر تلك المناقشات، وفي يوم جاء عدنان جلميران وهو من رؤساء الشيوعيين ومن أهالي الموصل يشكو للشواف قلق النصارى وخوفهم من اعتداء المسلمين عليهم فانبرى له إسماعيل هرمز آمر

ف ٢ ل ٥ الذي كان حاضراً قائلاً له: من وكلك عن النصارى فإني منهم وعمري أربعون سنة لم أترك الموصل منذ حدوث الثورة، ولم أشاهد أو أسمع اعتداء مسلم على مسيحي لا الآن ولا في الماضي، فمن أين لك هذه الأخبار، فأجابه عدنان جلميران إنه نقل هذا الكلام من أحد القسس الأفاضل، فقال له إسماعيل هرمز[١] إن الذي نقل إليك هذا الكلام ليس بفاضل بل كذاب، وخرج بعدها عدنان جلميران ولم يعد إلى النادي، ولما سمع الشواف أن قسماً من القسس والرهبان يؤيدون الشيوعيين ويدعون لهم وخاصة انتخابات المعلمين أرسل إليهم إسماعيل هرمز لنصحهم وعدم التدخل، وأن يحافظوا على الألبسة التي يرتدونها وأن يكونوا مثالاً للمسيح لا مثالاً للشيوعيين، ولكن مع الأسف أهمل الكثير نصحه وحضروا الانتخابات، وسعوا إلى نصرة الشيوعيين، ومنهم قسم من الراهبات كذلك.

كانت التعليمات تأتي من وزارة الدفاع إلى الوحدات بمنع تدخل العسكريين في السياسة، ومعاقبة من يفعل ذلك وضرورة بقاء الجيش على الحياد إلا أن المهداوي كان ينادي من على منبر المحكمة والتي تُنقل من الإذاعة والتلفزيون (في بغداد) أنه من الضروري أن يتدخل كل عسكري وخاصة الجنود وضباط الصف بالسياسة وأن يؤيدوا عبد الكريم قاسم مما كان يؤثر في قسم منهم حيث كنت ألاحظ من يتحدث عن ضرورة الإفلات من الضبط، وإعطاء الحرية للجنود، وصادف زيارتي إلى مقر اللواء بمعسكر الغزلاني وشاهدت الرئيس نافع داود[٢] مستاء وقال لي بلهجة ملؤها الحزن والألم عندما جاء عدد من الضباط الصغار واجتماعهم في غرفة قريباً من

(١) أطلعني المقدم إسماعيل هرمز ونحن في السجن قبل تنفيذ حكم الإعدام فيه على رسالة وردت إليه من الأب (المعوشي) أحد كبار القسس في قبرص يفخر فيها بعمل إسماعيل هرمز ومكافحته الشيوعية.

(٢) نافع داود أحد ضباط مقر الشواف أصيب عند قصف مقر اللواء بعد إعلان الثورة بالطائرة في عينيه وفقد بصره كليًّا وحكم عليه المهداوي بالموت ونفذ فيه الحكم رحمه الله رحمة واسعة.

دائرته يعزلون ويعينون من يشاؤون لمناصب الوحدات بالموصل، ولما أراد نافع الدخول إلى الغرفة منعوه من ذلك رغم أنه صديقهم يقول نافع داود رحمه الله (مَنْ هؤلاء هل يعرفون كفاءة الضباط واختصاصاتهم ليعينوا من يشاؤون؟ هؤلاء بحاجة لمن يرفع عنهم التقارير) فطمأنته أن تلك التصرفات صبيانية ولا بد وأنهم سينالون عقابهم عندما ينكشف أمرهم، ولقد تبين لي فيما بعد أن هؤلاء الضباط رفعوا التقارير بحق كثير من الضباط حتى خارج وحدات الموصل وأنهم طلبوا إحالة العقيد الركن عبد الجبار الضاحي[1] إلى التقاعد لتأييده الاتحاد الهاشمي وقد أحيل إلى التقاعد فعلاً، وعلمت أن قسماً من الضباط الذين يدعون أنفسهم بالتشكيل التحريري قد أرسلوا أحد المحامين من أصدقائهم إلى صديق شنشل لمفاتحته بضرورة إشراكهم في الحكم مما جعل صديق شنشل[2] يغضب عليهم وقال للمحامي إن الحكومة ليست تمثل حكام مقاطعات ونصح المحامي بإبلاغهم بالكف عن تصرفاتهم.

أحس الناس من غير الشيوعيين بالخوف خاصة عندما باشرت القوى الشيوعية بالتسلح بالأسلحة الخفيفة وحضر قسم منهم لمواجهة الشواف، وقال أحدهم له: إن كانت الحكومة عاجزة عن حمايتهم فعلى الأقل السماح لهم بالتسلح أسوة بالشيوعيين ليتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم، فهدّأهم وطلب منهم التريث وأنه سيتخذ ما يلزم حول ذلك.

---

(١) عبد الجبار الضاحي: من الضباط الجيدين ومن أهالي الموصل كان آمراً لفوجنا ونقل عضواً في لجنة توحيد المصطلحات العسكرية مع الأردن ولم يلتحق لحدوث الثورة، ونقل إلى كركوك وبذل قصارى جهده لحمل مدير شركة النفط لتأييد الثورة، وقد نجح في ذلك وواجه عبد السلام عارف لمعرفة أسباب تقاعده فذكر له أن تقارير من الموصل أدت إلى ذلك. وقد أيد ثورة الموصل وحاول الالتحاق بها وأفلت من الشيوعيين بأعجوبة.

(٢) صديق شنشل: سياسي معروف كان مديراً للدعاية في ثورة الكيلاني عام ١٩٤١ ولم يكن الكيلاني راضياً عنه، وأصبح وزيراً في وزارة الثورة يمثل الاتجاه القومي.

حضر إلى النادي العسكري عادل جلال[1] وكان يعمل قائمقام زاخو وتحدث إلى الشواف أمام عدد من الضباط عن الوضع في زاخو وعن استهتار الشيوعيين والمجرمين وسيطرتهم على المواطنين، وأن أمر حصر السلطات وعدم إعطاء الصلاحيات إلى القائمقامين لمعالجة ذلك سيعرض البلاد إلى فقدان الأمن والاستقرار حيث لم يكن بإمكان القائمقام توقيف أحد أو الحد من تصرفات الشيوعيين إلا بموافقة السلطات العليا، وقال له الشواف: إلى أين أنت ذاهب؟ فقال: إلى بغداد. قال الشواف: إذا واجهت عبد الكريم قاسم حدثه عن كل ما رأيت وعن الأوضاع العامة لأني حدثته بذلك فلم يقبل لعله يجد في كلامك الدليل على صحة كلامي، ووعده بذلك وقبل أن يخرج تحدث إلي فانتبه الشواف لذلك فأشار إلي - وكان يلعب الشطرنج مع كامل الدبوني - فلما حضرت إليه همس في أذني عدم التحدث بشيء أمام عادل جلال وأنه غير مؤتمن وأنه إذا واجه عبد الكريم قاسم فسيقول له إن الأوضاع على أحسن ما يرام والجميع يؤيدونك، حيث كانت تشكيلات الضباط لإصلاح الأوضاع قد بدأت ولذلك كان الشواف يخشى تسربها إلى أنصار عبد الكريم قاسم.

قامت قوات من الشرطة والانضباط بإحاطة الجوامع يوم الجمعة لحماية المصلين والخطباء من اعتداءات الشيوعيين وخاصة جامع عجيل الذي كان يخطب فيه الشهيد هاشم عبد السلام الذي قتله الشيوعيون عند فشل ثورة الموصل، وقد أهين كثيرٌ من الجوامع، ودخلها الشيوعيون عنوة للاعتداء على الخطباء الذين يهاجمون الشيوعية، ومن جملة ذلك خطيب الجامع الكبير الذي أنزله الشيوعيون من على المنبر بالقوة وأهانوه، وحضر إلى الشواف في النادي العسكري يشتكي عملهم، فشجعه الشواف وهنأه على شجاعته، وطلب منه الاستمرار دون خوف.

---

(١) عادل جلال من الضباط الذي قادوا أحد الأفواج من اللواء العشرين يوم ١٤ تموز عين بعد نجاح الثورة قائمقام في زاخو ثم عين وزيراً عند عبد الكريم قاسم بعد فشل ثورة الموصل.

لما زار وزير التربية والتعليم للجمهورية العربية المتحدة كمال الدين حسين الموصل هاجمه الشيوعيون وظهروا بمظهر غير لائق وهو ضيف، وهتفوا بسقوط المتآمرين والطامعين ويقصدون (جمال عبد الناصر) ورفعوا علناً الأعلام السوفييتية وحمامات السلام ونادوا اتحاد فدرالي مع الصين الشعبية وبحياة الجيش الروسي، وكان الشواف يسمع كل ذلك ويراه كما جرى اعتقال عدد من الشباب المسلم والقومي بأمر من الحاكم العسكري وسفِّروا خارج الموصل، كما هدد الشيوعيون بهدم مدن بكاملها إذا لم تخضع لهم، وضربوا الأمثال بما جرى في المجر وشمال إيران، وانقسمت الأسر وحتى البيت الواحد هذا شيوعي وهذا غير شيوعي، وحدث أن اعتدى أخ على أخيه وزوجة طلبت من زوجها الطلاق وابن تبرأ من أبيه، وقريب وشى بقريبه، ذلك حدث لأنّ الزوج والأخ والأب والقريب غير شيوعيين وهذه ليست أخطاء وقع فيها نفر من الشيوعيين ولكنها حقيقة حالهم وأساليبهم الوحشية.

هذا موجز لما كان يحدث قبل ثورة الشواف بالموصل تسيُّب وغليان واعتداءات وفوضى، وقوة غير مسؤولة قانوناً تعتدي على السلطات والمسؤولة قانوناً، وخوف يجتاح الجميع لا قيمة لموظف، ولا قيمة لقانون، حكام يهانون في محاكمهم وعلى كراسيهم، وعلماء الدين يهانون ويعتدى عليهم، وضباط يتهمون بالخيانة والتآمر، وهتافات يمجّها الذوق السليم. أخطار انقسام البلد، وأخطار انقسام الجيش بادية للعيان، فما هو العمل؟ وأي مسؤول يتحمل التضحية في سبيل إنقاذ العراق؟ كان ذلك الشواف وضباط الموصل الذين ألقوا بأنفسهم في النار لإنقاذ بلدهم، وكنت أتحين الفرصة للحديث مع الضباط الذين أثق بهم حول ضرورة العمل لإيقاف المد الشيوعي، وكان من جملة الذين تحدثت معهم الرائد يونس خليل فتبين لي أنه متحمس للعمل وأن لديه تنظيمات جيدة، كذلك المقدم كامل طه الدبوني الذي كان يشرح لي تطورات الموقف وتنظيمات الضباط، وتبين لي أن أكثر ضباط الجيش وقادة الفرق ورئيس مجلس السيادة وعدداً كبيراً من المدنيين كلهم على استعداد للتضحية لإيقاف المدّ الشيوعي. وأضاف المقدم كامل الدبوني بعد تقديمه

الكتاب بأننا قد اشتركنا في هذه التنظيمات دون الارتباط بأي حزب أو تنظيم سياسي بل عملنا في سبيل ديننا ولإعلاء كلمة الله وفي سبيل بلدنا وقد تعاهدت معه على العمل سوية في هذا المجال، وقد وفق كل منا بذلك وأخلص في سبيل الدفاع عن دينه وبلده خالصاً لوجه الله تعالى.

في أحد الأيام كنت واقفاً قرب النادي العسكري لتوديع العميد الركن ناظم الطبقجلي قائد الفرقة الذي حضر بصورة غير رسمية وعاد سريعاً وكان بجانبي المقدم الركن علي توفيق، وبعد سفر الطبقجلي قال لي علي توفيق: لم يبق لنا إلا هذا الرجل الطيب.

ويوماً زرت مقر اللواء وشاهدت الرائد الركن محمود عزيز وأخذني من يدي إلى داخل غرفته وقال لي هل ترضى أن يتهمني كل من خضر محمد وكنعان الملاح[1] بأني أؤيد الشيوعيين، فقلت له لا علم لي بذلك. ولما استفسرت من أحدهما عن الموضوع علمت أن الشواف كان قد عين ضابطين برئاسة محمود عزيز لجلب أخبار البلد إليه، وكان محمود عزيز يؤول تلك الأخبار وما يسمعه لمصلحة الشيوعيين مما أثار عليه زملاءه، ولقد حدثني كامل طه الدبوني أن محمود عزيز ذهب بعد هذه الحادثة لمواجهة ناظم الطبقجلي ليشكو إليه وضعه فنصحه الطبقجلي بالعودة والعمل سوية مع الضباط المنظمين وقال له - أنت نايم ورجليك بالشمس - الجميع قد تنظموا وعليك استرضاء المقدم الركن علي توفيق، ولما عاد إلى الموصل واجه علي توفيق وانضم إلى الحركة، وبسرعة فائقة وبقابلية نادرة تمكن من أن يكون أحد قادة هذه الحركة الرئيسيين، وعمل مع المقدم الركن عزيز أحمد شهاب للاتصال مع المسؤولين في سوريا قبل الثورة، وخلاصة هذه الاتصالات أن محمود عزيز وعزيز أحمد شهاب طلبا مساعدات من الجمهورية العربية المتحدة، وقد نصحهم الرئيس جمال عبد الناصر أن يعتمدوا على أنفسهم،

---

(١) خضر محمد وكنعان الملاح من ضباط مقر اللواء ساهما واشتركا في ثورة الموصل بكل اندفاع ولهما يد طولى بذلك.

ولكنهم ألحوا بذلك وحصل الاتفاق على إرسال جهاز للإذاعة إلى الموصل وتهيئة جماعة من المغاوير لإرسالهم إلى مقر الفرقة الثانية وتهيئة لواء مشاة مجحفل للدخول إلى الموصل بعد نجاح الثورة وإسناد الثورة بوسائل الدعاية والإعلان المتيسرة والتكفل بإعالة أسر المتضررين في حالة فشل الحركة وساعدهم على الاتصال قرب الحدود السورية من الموصل حيث لا تبعد أكثر من مائة كيلومتر.

وفي يوم ٦/ كانون الثاني/ ١٩٥٩ الذي يصادف ذكرى تأسيس الجيش العراقي قامت مظاهرات قومية صاخبة بالموصل تدعو إلى التفاؤل بوجود قاعدة شعبية ترتكز عليها الثورة وقد علمت أن التنظيمات للثورة للإطاحة بحكم عبد الكريم قاسم قد شملت العراق بأكمله وأن الرئاسة لها كانت محصورة بالشهيد رفعت الحاج سري وأن التوقيتات تصدر من عنده وكان من المقرر قيامها يوم ٤/ ٣/ ١٩٥٩ تبدأ من بغداد وتعم أنحاء العراق ولكنها تأجلت إلى إشعار آخر وفي يوم ٦/ ٣/ ١٩٥٩ وصلت قطارات أنصار السلام إلى الموصل، وهذه القطارات أرسلت من قبل عبد الكريم قاسم تحمل ألوف الأشخاص ممن يؤيدونه لإرهاب أهل الموصل، وكان هذا توجيهاً من الشيوعيين، ورغم محاولة الشواف منعها والاتصال بعبد الكريم قاسم شخصياً والرجاء منهم عدم إرسالها خشية وقوع مصادمات بينها وبين أهل الموصل، ولكنه أخفق في ذلك وكان الفوج الذي أعمل فيه مكلفاً لحماية جماعة أنصار السلام، وكان مقره في المدرسة الغربية قرب ملعب الموصل في باب سنجار وقد حاولنا جهدنا السيطرة على الموقف وتم لنا ذلك دون وقوع أي صدامات، وقد ألقيت كثير من الخطب والقصائد في هذا المؤتمر، والذي عقد في ملعب الموصل الرياضي، وبعد انتهائه انفض المجتمعون خارج الملعب واتجهوا إلى البلد يسيرون جماعات جماعات ويهتفون (أهل الموصل يا كرام نحن أنصار السلام) فقاطعهم أهل الموصل وحتى الباعة في محلات البقالة رفض أصحابها بيعهم شيئاً، وكانت جموع أهل الموصل من غير الشيوعيين تقف في مفارق الطرق وتتبادل الهتافات والشتائم مع أنصار السلام، ثم اتجه أنصار السلام إلى محطة

القطار لغرض العودة، وكنت في محطة القطار في الساعة الحادية عشرة ليلاً ليلة ٦-٧ /١٩٥٩/٣ بلغني أحد الضباط بأن موعد الثورة سيكون ليلة ٨-٩ /١٩٥٩/٣ في منتصف الليل، وكان قد استلم ذلك من مقر اللواء ولما عدت إلى الفوج كان الضباط المنظمون على علم بذلك، واستمر الفوج في وضع الإنذار وفي يوم ٣/٨ حدثت مظاهرات في البلد قام الشيوعيون خلالها بحرق عدد من المكاتب القومية مما اضطر آمر اللواء إلى إنزال قوة إلى البلد وكان نزول هذه القوة في الوقت المناسب لقرب موعد الثورة كما جرى اعتقال عدد من الشيوعيين والقوميين لا يتجاوز عددهم المائة مع عدد من ضباط الصف من جميع الوحدات ممن يشتبه كونهم من الشيوعيين، ولما طلب النقيب عبد الجواد حميد الذي كلف باعتقال جرجيس فتح الله (محامي) والقضاء عليه لتعصبه وتأييده للشيوعية منعه الشواف من ذلك وقال: إذا أصيب أي شخص معتقل بخدش بسيط فسأحاسب المسؤول إنهم إخوانكم ولهم معتقدهم وغداً عند نجاح الثورة سيكونون أول من يؤيدكم، ورغم قرب موعد إعلان الثورة إلا أن مقر اللواء لم يتخذ أي تدابير استثنائية، وبقي على وضعه السلمي وقدم الصيدلي النقيب أمين كركجي اقتراحاً وجيهاً إلى الشواف - وكان أمين كركجي صديقاً للشواف ومن الذين ساعدوا على تهيئة الثورة، وكان الشواف يعتزّ به - هذا الاقتراح مفاده أن يرسل المعتقلون الشيوعيون إلى سوريا لمنع حدوث المجازر في حالة فشل الثورة، فوافق الشواف على ذلك إلا أن الاقتراح لم ينفذ ولا أدري السر في ذلك.

كانت سرايا الفوج الذي أعمل فيه موزعة كما يلي داخل البلد سرية في منطقة باب سنجار، وسرية قرب باب الجديد، وسرية في الجانب الأيسر من المدينة، وسرية في محطة القطار، وسرية في مديرية الشرطة في الموصل وبقيت سرية المقر في المعسكر، واتخذ النادي العسكري مقرًّا للفوج وكان آمره المقدم إسماعيل هرمز، وكنت أعمل مساعداً له وبقي الفوج الثالث من اللواء نفسه محيطاً بمقر اللواء كذلك وحدات المدفعية والهندسة والمخابرة والنقليات وبقية الوحدات بقيت في ثكناتها في وضع الإنذار، وكان الفوج

الأول من اللواء في حامية عقرة، وقام باتخاذ التدابير للتمهيد للثورة مثلما جرى بالموصل، وكان آمره المقدم الركن علي توفيق.

كان جميع الضباط منظمين عدا عدد قليل منهم ولم يجر اعتقال سوى ضابطين أحدهما ملازم من الفوج الأول والثاني من الفوج الثالث بالموصل، وهكذا بدت الأمور تسير حسب الخطة الموضوعة وفي الليل فرض نظام منع التجول داخل البلد، وأبلغت نقاط السيطرة بعدم السماح بدخول أحد أو الخروج من الموصل إلا بإذن مقر اللواء كما توقف خروج القطارات إلى بغداد ليلة ٨-٩/ ٣ / ١٩٥٩ ولما حان موعد إعلان الثورة لم تكن الإذاعة المحلية التي جلبت من سوريا جاهزة للعمل وحتى ضحى يوم ٩/ ٣ حيث تمكنت من إذاعة البيان الأول، وبعد إذاعة هذا البيان لم أشاهد إلا الفرح والسرور باديين على الجميع وانهالت برقيات التهنئة إلى الموقع ومقر اللواء، وحضر عدد كبير من المواطنين الشباب للتطوع لنصرة الثورة، إلا أن مقر الثورة أعادهم إلى دورهم دون الاستفادة منهم لأنّ الثقة كانت قد ملأت نفوس المسؤولين بنجاح الثورة في بغداد وبقية أنحاء العراق، ولم تقع طوال اليوم حوادث تذكر إلا ما كان من تجمع عدد من الشيوعيين في رؤوس الشوارع الضيقة، ولما أنذرت بالتفرق هربت وكانت أقوى تلك التجمعات في محلة المكاوي وقد اضطر الضابط المسؤول من إطلاق عيارات نارية في الهواء أدت إلى إصابة شخص واحد، واتصل بي أحد موظفي المجموعة الثقافية وأخبرني بأنّ الطلاب الشيوعيين يحاولون إحداث البلبلة فطلبت منه أن يأمرهم بالذهاب إلى دورهم وإلا فستتخذ بحقهم الإجراءات اللازمة، وبعدها بقليل اتصل بي نفس الشخص قائلاً بأنّ الطلاب تفرقوا وذهبوا إلى بيوتهم، وقضينا الليل في أمان وهدوء واطمئنان كليّ وعدم حساب فشل الثورة، وكان الجميع ينتظرون انتهاء الحالة في بغداد صباح اليوم التالي وقد صادفنا بعض المشاكل ناتجة عن قلة الخبرة في أوامر منع التجول لتأمين الحاجات للبلد ومواد الإعاشة وتنظيم حركة سيارات الإسعاف والأطباء والعمال الضروريين للمعامل، وقد عولج ذلك في حينه.

وفي صباح يوم ٣/٩ كنا متلهفين إلى سماع إذاعة بغداد ولما باشرت بالبث ببرامجها المعتادة خامر الجميع الشك في قيام بغداد بالثورة في ذلك اليوم إلا أنّ محمود عزيز اتصل بي هاتفياً وأخبرني بأنّ إذاعة للثورة من الرمادي تذيع على موجة بالقرب من موجة إذاعة الموصل وأن طائرات ستصل من خارج العراق إلى مطار الموصل وأن ما أذاعته بغداد حول إرسال الطبقجلي برقية يستنكر فيها ثورة الموصل غير صحيحة، وأن الشواف لا يزال في مقرّه عكس ما أذاعته بغداد من أنه قد هرب، وأن الزعيم يونس محمد طاهر الذي كلف بواسطة إذاعة بغداد لاستلام مهام اللواء عوضاً عن الشواف الذي أحاله عبد الكريم قاسم إلى التقاعد بواسطة الإذاعة حضر مقر الشواف وأعلن تأييده للثورة. وبينما كنت أبلغ تلك الأخبار إلى آمر الفوج مرت في سماء الموصل ثلاث طائرات من فوق النادي العسكري وصفق الجميع لها باعتبارها طائرات مؤيدة للثورة وبعد قليل سمع صوت انفجار قادم من المعسكر ولما سألت عامل البدالة للمعسكر (القريب من مقر اللواء) قال: لم يبق أحد هنا هل تفهم يا سيدي ما أعني، ولم يكن ذلك يعني سوى أن القصف وقع في المعسكر وفي مقر الشواف وأنه لم يبق أحد من المسؤولين في المقر، وحاولت الاتصال بمقر الفوج الدائم في المعسكر فظهر لي محمود عزيز في الشارع أمام النادي، فأسرعت إليه لأستفسر عن الموقف فقال لي: بغداد غدرت بنا وإن كركوك خانتنا، وليس لنا إلا الدفاع عن أنفسنا لآخر طلقة وآخر جندي، وإنه كلف للذهاب إلى الثكنة الحجرية للقضاء على الشيوعيين المعتقلين وإنه يريد فصيلاً كاملاً لذلك ولما لم يكن في النادي هذا العدد من الجنود طلبت منه الذهاب إلى الثكنة الحجرية قرب النادي وسأرسل له فصيلاً حال تهيئه فذهب وبعد فترة وجيزة اتصل بآمر الفوج اسماعيل هرمز طالباً الجنود فأرسل له عدد من الجنود (حضيرة) بقيادة نائب عريف الذي أبرز كل شجاعة وبقي يقاتل حتى صباح يوم ٣/١٠ في سطح الثكنة الحجرية. وبعد ذهاب هذه الحضيرة علمنا بمقتل (القزانجي) أحد القادة الشيوعيين داخل الثكنة، وعلمنا بمقتل المقدم عبدالله الشاوي آمر كتيبة الهندسة وحدثني رأس عرفاء الانضباط عبد الرحمن شيت

الذي كان في الثكنة الحجرية أن الذي قتل القزانجي غير معروف بالضبط ويحتمل أن يكون أحد ضباط صف الانضباط مال الله محمد الذي كان عريفاً لسجن الموقوفين أو محمود عزيز وأن الذي قتل الشاوي خير الله عسكر رغم صلة القربى التي تصله بالشاوي وقد قام عبد الرحمن ومال الله بنقل جثته إلى داخل الثكنة من الشارع وكان رأس العرفاء عبد الرحمن شيت من خيرة ضباط الصف وكان مؤيداً للثورة ولاقى بعد فشلها التوقيف والتعذيب مع جماعة الانضباط.

وشاهدت على بعد وبالقرب من حديقة الشهداء الطرف الجنوبي تجمعاً فتحركت مع عدد من الجنود لعرفة سبب تجمعهم ومعرفة حقيقة الموقف في الثكنة الحجرية إلا أن آمر الفوج منعني من ذلك لعدم وضوح الموقف، ولما عدت إلى النادي شاهدت شرطياً على دراجة هوائية سألته عن سبب التجمع فقال إنهم يسحلون الشواف[1] فاستغربت ذلك وعدت كئيباً إلى النادي وأخبرت آمر الفوج، واتخذت تدابير الحماية، وأخذ عدد من الضباط الحضور إلى النادي يهمس بعضهم إلى بعض ولم أكن بحاجة لسؤالهم حيث علمت بخسارة الشواف ثم حضر آمر السرية الأولى (الرئيس حسين علي مردان) قائلاً بأنّ الشواف قد قتل وأنه لا يدري ماذا يفعل فطلبت منه إعادة السرية إلى النادي وجمعها بسرعة، وحضر بعد ذلك جندي من مقر الفوج يحمل رسالة من المقدم كامل الدبوني يطلب فيها إرسال سرية أو سريتين لإمكان السيطرة على الموقف، وأرسلت له سيارتين محملتين بالجنود من السرية التي تجمعت بالنادي كما طلبت من المقدم إبراهيم قسطو سحب سريته من الشرطة وإعطاء الواجب إلى مسؤولي الشرطة هناك والالتحاق بالمقدم كامل في المعسكر، فجمع سريته وكلف نائب ضابط تلميذ أنور العساف بقيادتها إلى المعسكر وقد تمكن أنور من إيصالها دون أي حادث، كما طلبت من آمر السرية الرابعة (محمد يحيى الصائغ) الموجودة في

---

(١) حدثني السيد ابن تركبي أنه شاهد انتحار الشواف في مقر وحدة الميدان الطبية قرب مطار الموصل بنفسه.

محطة القطار التوجه إلى المعسكر والاتصال بالمقدم كامل الدبوني لاستلام الأوامر منه على أن يكون الطريق الذي تسلكه السرية من خارج البلد وفعلاً تم وصول السرية إلى المعسكر دون أي حادث، وحاولت الاتصال بالسرية الثالثة (آمرها حازم حسن العلي) وسرية الإسناد (آمرها مجيد الجلبي) فلم أوفق واحتفظت ببعض القوة في النادي لمعرفة أوامر اللواء وهنا حضر سائق محمود عزيز يطلب سيارة للعقيد خليل سلمان الذي عين آمراً للواء من قبل بغداد ولنقله مع المقدم خضر محمد والملازم مظفر صالح لإيصالهم إلى المعسكر فقلت للسائق لماذا لم تستخدم سيارتك؟ قال: لأنه سيهرب مع محمود عزيز فاتصلت مع محمود عزيز في الثكنة الحجرية فقال لي بأنه لم يقبل أحد استلام القيادة وأنه لا يزال في الثكنة الحجرية وخامرتني فكرة الالتحاق بالمقدم الدبوني للسيطرة على الموقف ثانية، وفوجئت بأحد الجنود من السرية الأولى التي أرسلتها يقول لي إن القوة في باب الجديد أوقفت السيارتين وأنزلت منهما الجنود وأخذت سلاحهم فحاولت الاتصال بآمر السرية الثالثة وآمر سرية الإسناد فلم أوفق لمعرفة أسباب إيقاف السيارتين فلم أستلم أي جواب، ثم تبين لي أن آمري السريتين هربا إلى سوريا دون علم مقر الفوج ولم يسلماها إلى أي شخص مسؤول مما أدى إلى تشتت وفقدان السيطرة عليهما، وحاولت الاتصال بآمر قوة باب الجديد (ملازم فوزي شنشل) فلم أوفق، وعلمت أن القوة في باب الجديد ظنت أن السيارتين المحملتين بالجنود تحاول الهرب ولذلك ألقي القبض عليهم بعد هذا قال لي العقيد الركن مجيد سعيد الذي كان حاضراً في النادي: إن ذلك يعتبر كارثة وإن عليّ الاتصال بقائد الفرقة في كركوك. ثم حضر الرئيس الأول محمد سليم وأخذ يهمس بأذن العقيد مجيد سعيد وكان الارتباك ظاهراً عليهما، وبعدها طلبني أحد الأهلين بالتلفون قائلاً إن النار تشتعل في الدور وإن النساء تحترق وإن النهب والسلب مستمر وإنه اتصل بالمسؤولين فلم يجد جواباً، فاتصلت فوراً بمدير شرطة اللواء، وبينما كنت أتحدث إليه صرخ فجأة طالباً الاستغاثة فعلمت أن مقر الشرطة قد تم احتلاله من قبل المقاومة الشعبية وأن الشرطة لم تبد أي مقاومة، واستلمت برقية من مقر الفوج الخلفي في المعسكر

طالباً الانسحاب فوراً مع بقية السرايا إلى الثكنة واتصل بي المقدم كامل الدبوني قائلاً إنه سلم السلاح إلى المشاجب وإن كل شيء قد انتهى، ثم اتصل الزعيم يونس محمد طاهر من دائرة التجنيد القريبة من النادي بآمر الفوج طالباً منه حضوره إلى دائرة التجنيد مع سيارته فذهب آمر الفوج وعاد ومعه الزعيم يونس المعين آمراً لموقع الموصل بدل الشواف فطلب إذاعة بيان إلى أهالي الموصل بواسطة مكبرات الصوت المتنقلة ليعلن مقتل الشواف وانتهاء الحركة وكلفت فوراً الملازم حازم العمري بذلك وتم إعلام كافة المواطنين بالموقف.

استلم آمر الموقع الجديد واجبه وذهب معه آمر الفوج وبقيت بالنادي وحضر المقدم خضر محمد والعقيد خليل سلمان والملازم مظفر صالح فأخبروني بأنّ الموقف سيىء وأن أي مقاومة لم تعد ذات نفع وأن عليهم الذهاب إلى المعسكر وأن العقيد خليل سلمان قد عين آمراً للواء فأخبرت العقيد خليل سلمان أن لدي من المراتب من أعتمد عليهم مع سيارتين كبيرتين ولدي من الأرزاق ما يكفي عدة أيام وأننا بإمكاننا التوجه خارج البلد وانتظار حسم الموقف فقال لي إنه عين آمراً للواء وأنه ليس من الأصول ترك اللواء وإنه سيحميني قدر استطاعته وأثناء الحديث حضر ضابط صف من مقر الفوج طالباً مني الحضور أمام آمر الموقع حسب طلبه وأنه أحضر سيارة لذلك وطلب مني مصاحبته، ولكني ذهبت مع العقيد خليل سلمان وتركت النادي بعد أن طلبت من آمر السرية الأولى أن يحل محلي وأثناء الطريق كان الرمي ينهال علينا من كل جانب رغم أننا اتبعنا طريقاً غير الطريق الاعتيادي ووصلنا مقر الموقع واستفسرت من آمر الموقع عن أسباب طلبي فتبين لي أنه لم يكن يعلم بذلك، واتضح أن ذلك كان تدبيراً من إبراهيم قسطو وكان الهرج والمرج يسود المعسكر ومقر الموقع بالذات وأن الأمور قد ساءت إلى حد لم يكن بالإمكان السيطرة عليها وأن الضباط لم يعد لهم أي كلمة مسموعة وأن الضبط قد انحل، وكانت إذاعة بغداد تنادي بقتل الشواف وأعوانه الخونة وبقيت بالموقع من الساعة التاسعة صباحاً حتى العاشرة مساءً وكان أهم ما وقع أمامي أو سمعته يمكن إجماله بما يلي:

اتصل عبد الكريم قاسم بآمر الموقع عدة مرات يؤكد عليه ضرورة التأكد من مقتل الشواف ويسأل عن تفاصيل مقتله وإنه سيذيع النبأ ويخشى أن يكون حيًّا كما طلب منه عدم التعاون مع كركوك، وأوعز إليه الاعتماد على المقاومة الشعبية والعشائر الكردية كما طلب فتح مخازن العتاد وإعطاءه إلى الموالين له من غير العسكريين وكان يسأل عن الموقف دوماً فيجيبه آمر الموقع مرة أن كل شيء مستتبّ ومرة أنه يحتاج إلى قوة والسيطرة على البلد فتدخل العقيد جلال حمودي وطلب من عبد الكريم قاسم ضرورة إرسال قوة بحدود لواء مشاة وقد تم فعلاً إرسال لواء مشاة من اللواء الأول الذي ساعد كثيراً من الحد من تصرفات العشائر والمقاومة الشعبية، ثم طلب اعتقال كل من محمود عزيز وخضر محمد وزكريا طه[١]. فقال له آمر الموقع إنهم هربوا أو ربما قتلوا فأكد عليه ضرورة إلقاء القبض عليهم كما اتصل أحد المسؤولين من تلعفر بالعقيد خليل سلمان حول إلقاء القبض على عدد من الضباط فأوعز إليه إعادتهم إلى الموصل دون إيذائهم واتصل آمر مخفر ربيعة وأخبر عن وجود ضابط برتبة رئيس أول جريح في مخفر ربيعة على الحدود السورية وأنه يطلب إخلاءه فطلبت من آمر الموقع الذهاب بنفسي لإنقاذه إلا أنه رفض، ثم علمت أن السوريين قاموا بالهجوم على المخفر وتمكنوا من أخذ الضابط الجريح إلا أنه توفي متأثراً بجراحه البالغة وقد شيع جثمانه في دمشق تشييعاً كبيراً وكان هذا الشهيد محمد سعيد شهاب الذي كان متقاعداً والتحق بالثورة، كما حضر إلى موقع الموصل وإلى غرفة آمر الموقع عدد من ضباط المدفعية مهرولين وفزعين خشية قتلهم وكانوا مطاردين وقد علمت منهم استشهاد كل من الرئيس

---

(١) كان المقدم خضر محمد واقفاً أمام آمر الموقع العميد يونس محمد طاهر عندما طلب منه عبد الكريم قاسم اعتقاله ولما لم يكن يعرفه سأل من هو خضر محمد فأجابه العقيد خليل سمعان الذي كان واقفاً بجانبه أيضاً إنه أحد ضباط مقر اللواء وإنه لا يعلم مصيره ثم اقتاد خضر محمد من يده وصاحبه إلى خارج المعسكر حيث تمكن من الهرب والوصول إلى سوريا. لقد شاهدت ذلك بنفسي وأكبرت صفات النبل والشجاعة عند أبي نبيل العقيد خليل سلمان رحمه الله رحمة واسعة.

الأول يونس خليل ومحمد طاهر أحمد من ضباط الكتيبة الجبلية الثانية كما اتصل العقيد عبد الرحمن جلميران وهو ضابط سار بركاب الشيوعيين وطلب من آمر الموقع توقيف آمري الأفواج إلا أنه رفض ذلك كما كانت برقيات التأييد لعبد الكريم تصل من قبل الشيوعيين وكان العقيد خليل سلمان والملازم مظفر صالح يستلمانها ثم يمزقانها كما وصل إلى مقر الموقع عدد من اللاجئين الهاربين من محاولات القتل بينهم محام، كما بلغني اعتقال المقدم كامل الدبوني ثم حضر أحد ضابط صف سرية المقر لوحدتنا طالباً مني المسدس الذي أحمله لإدخاله في المشجب حسب الأوامر فلما علم المقدم محمد إسماعيل الرحاوي بذلك طلب ابراهيم قسطو وحمله مسؤولية أي أذى يلحق بضباط الفوج ثم طلب العقيد جلال حمودي من كافة الضباط إما الانصراف أو دخول المعتقل ففضل الجميع دخول المعتقل، وحضر المقدم إسماعيل هرمز واستصحبني إلى الفوج، ودخلت إحدى غرف المقر فشاهدت المقدم كامل الدبوني والملازم حازم العمري ون ض أنور العساف معتقلين داخلها فانضممت إليهم، وقبل تركي مقر الموقع حضر المقدم عبد الرحمن جلميران واستلم آمرية الموقع من الزعيم يونس محمد طاهر الذي سفر إلى بغداد بأمر من عبد الكريم قاسم، وأثناء مكوثنا في الاعتقال تردد علينا الرئيس حسين علي مردان آمر السرية الأولى وقد أكدنا له أننا سوف لا نذكر اسمه إطلاقاً ولا خوف عليه كما حضر الرئيس محمد يحيى الصائغ وانضم إلينا قائلاً إنه أحد آمري السرايا فكيف لا يسأل، فطلبنا منه الخروج والبقاء في الفوج ولا خوف عليه وقد نجا من التوقيف، وكان يقوم على خدمتنا نائب عريف مصطفى بابكر ومن أهالي عقرة(١)، ويحرسنا ومنع جنود القوة الجوية من الاعتداء علينا عند

(١) كان مراسلاً لآمر الفوج، وكان يتصف بصفات طيبة دافع عنا ومنع الاعتداء علينا ولكنه على ما يظهر اندفع وراء الشيوعيين وقام بأعمال سيق بسببها إلى المجلس العرفي العسكري بعد ثورة ١٤/رمضان واستدعيت للشهادة لصالحه حسب طلبه وأيدت أنه من الذين دافعوا عنا ووقف إلى جانبنا، ولما صدر الحكم عليه بالإعدام أوصى المجلس في قرار التجريم تخفيف الحكم وذلك لما ورد في إفادتي إلا أن =

نقلنا إلى المطار، وكانت تصلنا أخبار القتل والنهب والسلب في الموصل وعلمنا بكيفية مقتل الشهيدة حفصة العمري وكيف جرى تعليقها على أعمدة الكهرباء مع غيرها من الشهداء، وتألمنا كثيراً لذلك كما علمنا برمي جامع الشيخ عجيل الياور[1]، وكان إبراهيم قسطو يفخر بأنه هو الذي سمح باستلام هذه الصواريخ واستعمالها للغرض أعلاه، ولما زارنا المقدم إسماعيل هرمز قلت له وطلبت منه أن يختفي لأنه آمر فوج وضباطه ومساعدوه موقوفون فكيف يسوغ عدم سؤاله فلم يفعل، وغالب الظن أنه حمل عدم توقيفه على محمل التفاؤل كما طلبت منه تهريب ن ض أنور العساف أسوة بجماعته ولكنه خشي من آمر سرية أنور أن يؤذيه فلم يفعل وفي يوم ٣/١٢ بلغنا بالسفر إلى بغداد بالطائرة لمواجهة التحقيق فطلبنا إرسال ورقة إلى أسرنا لنطمئن عليهم[2].

= رئاسة الجمهورية لم تأخذ بذلك، وقبل تنفيذ الحكم فيه قال: إن جميع الشهادات ضده كاذبة عدا شهادتي (ذكر لي ذلك أحد شهود العيان).

(١) بناه رؤساء عشائر شمر في مدينة الموصل في الشارع الموازي لشارع المطار قبل الثورة، وعشيرة شمر من العشائر العربية الكبيرة تسكن منطقة الجزيرة غرب دجلة ولها أتباع في سوريا والأردن والسعودية أيدت الثورة، وأحضرت فرسانها وشبابها للمساعدة ولكن قادة الثورة لم يعرفوا الاستفادة منهم وأبقوهم خارج البلد ولانهيار الثورة سريعاً لم يتمكن رؤساؤهم من عمل شيء حتى للدفاع عن أنفسهم وأملاكهم وعقبتهم الطائرات في كل مكان واستمرت في قصفهم عدة أيام بعد فشل الثورة وقام الشيوعيون من أهالي تلعفر بنهب أموالهم وأصابهم الضرر الكبير وهربوا إلى سوريا وعادوا منها تدريجياً بعد هدوء الأوضاع، ولم أسمع عنهم بعد ثورة ١٤/رمضان قيامهم بأي عمل انتقامي.

(٢) قد أخبرني أخي نذير بأن دارنا تعرضت إلى هجوم المقاومة الشعبية بأعداد هائلة ملأت الفناءين الواسعين وكافة السطوح المحيطة بدارنا إلا أن أحد رؤساء الأكراد شاهد المصحف الشريف في غرفة الضيوف وجرى بينه وبين والدي نقاش فهم منها الكردي أنهم مسلمون فمنع المقاومة الشعبية من نهب الدار، فأصر الشيوعيون على أخذ والدي إلى المحكمة القصابية، فتطوع أخي نذير بالذهاب عوضاً عنه، ولما وصل إلى هناك تمكن من الهرب منها بمساعدة عدنان جلميران بسبب صداقة والده =

ونقلنا إلى المطار بحماية نائب عريف مصطفى با بكر كما أسلفت والذي منع جنود القاعدة من الوصول إلينا وأدخلنا ببهو الضباط في القاعدة وكان هناك بحدود (٥٠) ضابطاً معتقلاً، وكنا صائمين بمناسبة حلول شهر رمضان، وقبل حلول الإفطار حضر ضابط اسمه سعيد مطر من الشيوعيين القذرين وأخرج المعتقلين وكبلهم من الخلف بجامعة يد حديدية أو بالحبال، يساعده عدد كبير من الانضباط العسكري ثم نقلنا بسيارة كبيرة إلى الطائرة ورمينا فيها كما يرمى العفش، وفي المسافة بين البهو إلى السيارة لاقينا الشيء الكثير من الهتافات والشتائم ومحاولة الاعتداء من قبل الجنود الشيوعيين الذين كانوا قد تجمعوا لهذا الغرض، وما وصلنا إلى السيارة إلا بشق الأنفس وبالتدافع حيث كانت أيدينا مكبلة إلى الخلف وواحدنا يدفع الآخر تفادياً للضربات الواقعة علينا من كل صوب[١]، ودخلنا الطائرة التي كانت مخصصة لنقل المظليين قد رفعت مقاعدها ورمينا في أرضها وشدت أرجلنا إلى بعضها وكان قسم من الضباط المسؤولين يمرون فوقنا ويعتدون علينا بالضرب والشتم ونحن في تلك الحالة من الضعف، وقام أحدهم برفع الرتب من على أكتافنا وقال لي متشفياً بأنه سيذهب بها إلى أهلي ليقول لهم إنه قضي عليَّ[٢]. وكانت أصوات الإطلاقات

= مع خالنا محمد علي السلمان، وقد شاهد نذير المجازر الرهيبة، وشاهد عدداً من البدو البسطاء كسرت أيديهم وأرجلهم بأيدي الشيوعيين، فتألم لذلك كثيراً.

(١) أصيب المقدم كامل الدبوني بجرح بليغ في رأسه ضربه أحد منتسبي القوة الجوية بقطعة حديدية، وكان الدم ينزف شديداً من رأسه وأدخل الطائرة وهو مشدود اليدين من الخلف وشاهد في الطائرة شخصاً ينادونه يا دكتور فقال له أرجوك أسعفني، فقال الدكتور هل هذا وقتها؟ وبعدها أخذ ورقة من أرض الطائرة ووضعها على الجرح وأخرج منديلاً من جيب المقدم كامل وشدّ به موضع الجرح وانقطع النزف وسلمه الله من التسمم، وبقيت الورقة ملصقة في موضع الجرح إلى يوم ذهابنا إلى معسكر الهندسة.

(٢) كنت مرمياً بأسفل الطائرة وبجانبي الشهيد الرائد توفيق يحيى آغا فهمس في أذني قائلاً احفظ أسماء هؤلاء المعتدين فسوف يأتي اليوم الذي يحاسبون عليه، وبعد أن =

تسمع من حول الطائرة بصورة مستمرة، ثم تحركت الطائرة نحو بغداد وبعد تحليقها مدة خمس عشرة دقيقة عادت وهبطت في مطار الموصل ثانية وأنزلنا منها وجرى إركابنا في سيارة ثلاثة طن من نوع دودج وبقينا فيها حتى التاسعة ليلاً حيث نقلنا بواسطتها إلى قرب ثكنة كتيبة الهندسة حيث يمر القطار بالقرب منها وأدخلنا داخل عربة معدة لنقل الحيوانات والعفش ثم أقفل علينا الباب وجرى وضع الشمع على قفل باب الشاحنة وكنا ثلاثة وخمسين ضابطاً.

ولا بد لي من تسجيل هذه الملحوظة الظريفة فقد حان وقت الإفطار ونحن داخل سيارة الدودج وكنت أنا والمقدم الدبوني جالسين في مؤخرتها عند فتحة الباب الخلفي تماماً وكنت أحمل في جيبي ساندويج ونظراً لكوني مكتوفاً من الخلف تعذر علي تناول الإفطار فنظرت إلى الجنود الذين قرب السيارة فقرأت في سيماء أحدهم الطيب فرجوته إخراج الصمون من جيب المعطف ففعل وأعطاني الطعام لقمة لقمة يقطعها بيده ويضعها في فمي وبعدها يضع في فمي الماء بواسطة زمزميته الخاصة، وهكذا استمر إلى أن انتهى الساندويج، ثم توجه إلى صديقي المقدم كامل وناوله إفطاره بنفس الأسلوب، ولقد دعونا له كثيراً، ولقد نسيت اسمه إلا أني أذكر عمله الحسن وسط أولئك الوحوش. نعود إلى عربة القطار المغلقة وداخلها أكثر من خمسين ضابطاً مكبلاً من الخلف، والعربة مغلقة بالحديد، والبرد شديد وفي الليل، إنه منظر مؤلم حقاً والذي يزيد من الألم أنه لا يوجد أحد مطلق اليدين ليساعد إخوانه لقضاء حاجاتهم هذا مصاب بالزكام والآخر يحتاج إلى الإدرار وأكثرهم شعروا بالألم في أكتافهم من جراء الربط ولكن رحمة الله واسعة فقد تمكن عدد منهم من الذين كانت أيديهم مربوطة بالحبال من التخلص من هذا الوضع وساعدوا إخوانهم لقضاء حاجاتهم وبقي المكبلون بالحديد فتقدم الشهيد محسن عموري الذي كان يعرف سر جامعة اليد الأمريكية وكيفية فتحها واستخدم لذلك

= استشهد قمت بالتعاون مع زملائي بتسجيل أسماء أكثرهم وتمت محاسبتهم بعد ثورة ١٤ رمضان وقد أظهروا الندم وأنهم كانوا مخدوعين.

مسماراً كالذي في أحزمة السراويل فتمكن جزاه الله خيراً من فتح جميع الجامعات وأصبحنا أحراراً في أيدينا إلا الشهيد علي توفيق فقد تأخر فتح جامعة يده إلى قرب الصباح، وكانت معنويات الجميع عالية، وكنا نتحدث مع بعضنا في الظلام الدامس ويميز أحدنا الآخر بصوته أو يقول لأخيه الذي بجانبه إنه فلان، وكان أحدهم يملك صندوق من البسكت وزعه على أكبر عدد ممكن ولقد سمعت أصوات ضباط كنت أعتقد أنهم من الشهداء ثم تبين أنهم على قيد الحياة وكان الحرس الذي يرافقنا في عربة خاصة مربوطة بعربتنا وعند وقوف القطار في المحطات كان التراب ينهال علينا من فتحة جدار العربة الصغيرة الموجودة في أعلى الجدار، وهكذا قضينا هذه الليلة الليلاء ووصلنا بغداد مع بزوغ الشمس فأعدنا جامعة اليد على وضعها كما تركها الحرس عند دخولنا العربة تحاشياً من إيذائهم لنا، وكان البرد قاسياً، ولم يذق أحدنا النوم، وجرى فتح العربة ودخل علينا زبانية عبد الكريم قاسم واعتدوا على الشهيد زكريا والشهيد علي توفيق بالضرب والشتم، ثم أنزلنا من العربة وسط ضربات ولكمات تأتينا من كل صوب، ونقلنا بسيارات كبيرة إلى معسكر الدبابات وسط معسكر الرشيد، وكان في انتظارنا عند وصولنا المعتقل عدد كبير من الجنود وضباط الصف وقليل من الضباط وهم يهتفون هتافاتهم المعتادة وينهالون بالضرب على من تصل أيديهم إليه، وفي أثناء نزولنا من السيارات طلبت من أحد الضباط الواقف قرب السيارة حمايتي من الضرب والاعتداء فرقَّ لي لما شاهده من حالي التي يرثى لها، فأمر بإرسالي إلى معتقل الأحكام الخفيفة - هكذا قال - وسرعان ما تدخل أحد ضباط الصف الذي لم أشاهده من قبل وأطلق كذبة عظيمة قائلاً للضابط يا سيدي هذا قتل ٤٠٠ مناضل فما كان من الضابط إلا إعادتي إلى معتقل آخر وتركت يداي مربوطتان من الخلف رغم فتح جميع الجامعات لمن كان معي، ورميت وسط الغرفة وبقيت عدة ساعات على هذا الوضع ومن حولي المعتقلون صامتين، ولما حضر أحد المسؤولين من المعتقل واسمه ملازم يوسف طلبت منه فتح جامعة اليد لشعوري بالألم الشديد فلم يبالِ، وبعد أن تركني على هذا الحال طلبت من

المعتقلين إيجاد مسمار لحاجتي إليه من أحد الأحزمة فتدخل العقيد الركن مجيد سعيد قائلاً لماذا تريد الانتحار كما حاول يوسف كشمولة يوم أمس بالكهرباء وأنت شاب، فقلت له إني لا أريد الانتحار ولكني أريد تجربة فتح جامعة اليد، وقصصت عليه ما حدث من محسن عموري ليلة أمس ولما لم أعثر على المسمار تحملت الآلام إلى ما بعد الظهر حيث دخل أحد الجنود الغرفة يحمل بيده الطعام لنا فوضعه على الأرض وفتح جامعة اليد العائدة لي وتركنا ولما أردت إعادة يديَّ إلى الأمام تألمت كثيراً واستغرقت وقتاً ليس بالقليل للعودة إلى الحالة الطبيعية، فحمدت الله على ذلك ثم تناولنا الطعام وكان غير ناضج والأواني غير نظيفة والملاعق ملطخة بالطين عمداً، ثم جرى تفتيشنا من قبل الحراس وأخذت منا المحافظ الشخصية والسكاير والشخاط وأقلام الحبر والتصاوير وكان في الغرفة مشمع كبير يعود إلى إحدى الدبابات قد فرش في أرض الغرفة منعاً لوصول الرطوبة إلى أجسامنا فلم يرض أحد الضباط الشيوعيين بذلك ورفعه قائلاً إنه يخشى أن ينجس بجلوس الخونة فوقه، وبقينا على أرض مبلطة بالسمنت وبدون تدفئة وتمكن أحدهم من إخفاء السكاير العائدة له وكان يشعل إحداها وتدور على المدخنين، ويتردد إلينا عدد من الضباط المسؤولين في المعتقل وكان أحدهم آمر الكتيبة عدنان الخيال ويرينا أنه يحمل القرآن الكريم على صدره داخل صندوق صغير معلق بسلسلة ويرينا إياه عندما يخرج الضباط الشيوعيون قائلاً: أنا لست شيوعياً، وكانت الحركة مستمرة خلال النهار يؤخذ عدد من المعتقلين ويجلب غيرهم أما في الليل فكان الهدوء يسود والحديث يدور بيننا حول الثورة ومستقبل العراق، وكان الحديث يميل إلى التفاؤل وكانت لعبة تحضير الأرواح شائعة بينهم وقسم منهم يصنع الشطرنج من بقايا الصمون ويتبارى مع زملائه في الليل.

وفي الصباح فتح باب الغرفة ودخل علينا مجموعة من الضباط والمدنيين يتقدمهم عدنان جلميران وعبد الرحمن القصاب (رؤساء المحكمة القصابية في الموصل التي أعدمت الناس جزافاً) وطلب أحد الضباط منا القيام فوقفنا جميعاً فنظر عدنان جلميران إليّ ممحصاً وقال: ألست فلان؟ فقلت نعم. فاستدار إلى

عبد الرحمن القصاب وقال له (شوف اشلون صيد هذا) فقال لي القصاب بأنّ والدي لا يزال حراً طليقاً وأنه أخطر عليهم من إذاعة صوت العرب، فانبرى أحد الضباط الذي كان يحمل أوراقاً وقلماً في يده يسجل كل ما يقوله عدنان والقصاب مستفسراً عن اسم والدي فأعطاه الاسم كاملاً ودون ملحوظة يطلب فيها توقيفه فوراً وفعلاً تم إلقاء القبض على والدي بعدها بساعات ثم انصرفوا. وفي الليل دخل علينا ضابط برتبة رئيس أول قائلاً من هو صديق إسماعيل، فنهضت سريعاً لعلي أجد بعض الخير، ولكني على العكس تماماً لاقيت من الشتائم والكلام البذيء ما لم أسمعه من قبل، وقد تألمت لذلك وتألم جميع الموقوفين، وسألوني إن كنت أعرفه فنفيت ذلك، وقال أحدهم: إنه ضابط إعاشة من عائلة الخيرو في الموصل، ولحد الآن لم أعرف السبب الذي دفعه إلى هذا التصرف. ليس معتقل الدبابات كأي معتقل يحجز فيه أناس لحين محاكمتهم ولكنه معتقل يثير في النفس أشياء وأشياء، منظر ضباط الجيش العراقي من أعلى الرتب إلى أصغرها داخل هذه الغرف التي ينبعث من أكثرها أصوات المعذبين الذين يؤتى بهم وقد فقدوا الوعي محمولين بالبطانيات ويرمون قرب غرفهم تحت رذاذ المطر وفي الهواء البارد يثير في النفس ويؤلمها منظر قادة الجيش يهانون شتى أنواع الإهانات على أيدي ضباط لم يمض على تخرجهم أشهر، وضباط صف ومراتب بسطاء يدورون حول سيارات المعتقلين الجدد ليل نهار يرمون التراب عليهم مع الهتافات والشتم المعتاد كأنهم حلقات الهنود الحمر يطوفون حول فريستهم كما تظهر في الأفلام السينمائية يثير في النفس مأساة سيطرة الحزبية على الجيش، ويعني ذلك خرابه. مأساة تنكر الإنسان لأخيه الإنسان. مأساة سيطرة قاسم العراق والشيوعيين على البلاد. هكذا كان معتقل الدبابات، ومهما أردت أن أصفه ومهما أردت تصوير حقيقته فلا أستطيع إظهارها كما كانت فقط نسأل الله ألاّ يعيد تلك الظروف البشعة.

وقد جرى نقلي إلى ثلاث غرف فترة وجودي في هذا المعتقل في كل غرفة كنت أتعرف على معتقلين جدد، كنا لا ننام في الليل إلا القليل، وكانت قصص الأنبياء والعلماء وقصص الصبر وتحمل غيرنا تدور بين الضباط

المعتقلين، وكنا نسمع عما يلاقي الضباط أثناء التحقيق من تعذيب وإهانات، وشاهدنا عدداً من المعتقلين في وضع مؤلم منهم العقيد الركن سعيد الشيخ الذي كان يعمل مع الطبقجلي قد كسرت عظامه وفج رأسه وألقي خارج الغرفة، وغيره كثير في حالة من الأسى والألم قد تغيرت ملامح وجوههم. وكان يسمح لنا بالخروج لقضاء الحاجة بشرط عدم التأخر أكثر من دقيقة واحدة، وإذا تأخر هجم عليه الزبانية يخرجونه عنوة وإذا خرج أحدنا لجلب الماء كسرت الآنية أو خطفت من يديه، وعاد راكضاً خشية الاعتداء عليه بالضرب بالعصي والحجارة وكان آمر الحرس (ن ع شغدون) يريد منا الوقوف إذا دخل علينا الغرفة، وطوال النهار نسمع الشتائم وكان التراب ينهال علينا كلما فتح الباب فإذا أغلق جاء التراب من فتحة في أعلى الجدار (حيث إن الغرف التي اعتقلنا بها كانت مشيدة لغرض المشاجب).

كان المعتقلون يذكرون اسم الله دوماً ويرددون قراءة آية الكرسي التي حفظها كثير منهم لأول مرة وقد علمت من العقيد الركن يونس عطار باشي الذي أدخل المعتقل في منتصف الليل أن الحالة بالبلد سيئة جداً، وكان متألماً يصف رئيس هيئة التحقيق عقيد ركن هاشم عبد الجبار بالوحش، وكان قد واجهه قبل مجيئه، وقد قال له: نحن الشيوعيين سندمر كل من يقف في طريقنا وندمركم، وكانت علائم الاعتداء على العقيد يونس ظاهرة عليه كما أخبرنا عن وصول عدد من الضباط الهاربين إلى سوريا، وفي الحمامات القريبة من غرف المكاتب كان عدد من المعتقلين يتألمون من أقسى أنواع التعذيب في هذا المكان الرطب، وكان من بينهم الرجل الكبير أمير اللواء الركن حسين العمري (متقاعد) الذي قال لأحد الملازمين الشيوعيين إنه قضى في الجيش ستة وثلاثين سنة خدمة لم يتعرض له أحد بسوء، وبعد هذه الخدمة الطويلة يتعرض الآن إلى هذه الإهانات فهل يأمن هو (أي الملازم) والشيوعيون نهايتهم؟ وفي صباح العيد استيقظت على شتائم مقذعة صادرة من أحد العسكريين تجاه علماء الدين الذين أحضرهم الشيوعيون من كركوك وبينهم شيخ كبير مقوَّس الظهر لم أسمع منه إلا التسبيح وقول لا حول ولا قوة إلا بالله وكان معه عالم آخر

متوسط العمر كان متكلماً يقص علينا القصص ويضرب الأمثال ويقرأ القرآن ويشجعنا[1]، وفي ضحى أول يوم عيد الفطر رأيت أطفال الضباط المعتقلين (فقط الأطفال ولم يسمح لذويهم بالدخول إلى المعتقل) يدخلون إلى حديقة أمام غرف المعتقل بلباس العيد ليراهم آباؤهم الذين كانت تظهر عليهم علائم التعذيب والألم والدموع تنهال من عيونهم عند لقاء أطفالهم. منظر مؤلم للغاية وقسوة لم نسمع مثلها. إدخال أطفال لوحدهم دون أمهاتهم أو أحد مسؤول عنهم ليروا آباءهم معذبين، ودخل علينا أحد الأطباء اسمه رافد وكان بعضنا يحتاج إلى العلاج، وكنت أحتاج إلى معالجة عيني اليسرى فقد أصابها الالتهاب وتدمع كثيراً إلا أنه رفض ذلك، وكانت تقدم إلينا وجبة واحدة من الطعام يحتفظ بها الضباط الصائمون إلى موعد الإفطار ولا وسيلة لتسخينها وحدثني المقدم الركن حميد خليل أن آمر المعتقل بعد الانتهاء من تعذيبه قدم به إلى حانوت الجنود داخل المعتقل، وأمرهم بضربه والاعتداء عليه، ولما ترك الآمر الحانوت كف الجنود عنه وجلسوا حوله يتحدثون معه بكل لطف، ولما حضر الآمر مرة ثانية عادوا إلى إيذائه خوفاً من آمرهم. وفي أحد الأيام دخل علينا شاب محامي خريج جامعة السوربون في باريس يرتدي العباءة العربية والثوب العربي يتبعه أحد الملازمين شاتماً إياه بكلمات بذيئة ويشتم معه كل عربي وكل من يؤمن بالقومية العربية، ولما شاهد حال المعتقلين قال لي وكان بجانبي: إن الإنسانية قد أهينت فقلت له ليس لدى الشيوعيين إنسانية، وليس لكرامة الإنسان معنى لديهم، وقد ألقي القبض عليه وهو يحاول الهرب إلى سوريا، وعلمت أنه بعد خروجه من التوقيف تمكن من الوصول إلى سوريا وكان يذيع من إذاعة دمشق عن أوضاع العراق وأوضاع المعتقلين. ورغم كل هذا الألم وهذا التعذيب والاعتقال المشين وقلة الطعام وقلة النوم كانت الروح المعنوية للمعتقلين عالية، وكنا كلما زادت أساليبهم في التعذيب والمعاملة الفظة الكريهة وإهاناتهم المستمرة كنا نزداد يقيناً بأن ثورة

---

(١) الشيخ ملا أحمد ملا حكيم والشيخ عبد المجيد القطب.

الموصل كانت على حق ولم أجد انهياراً من أحد من المعتقلين، وكان الجميع على ثقة أن مثل هذه الأوضاع لا يمكن أن تدوم وأن الخير دائماً أقوى من الشر، وأنه لا بد من مجيء اليوم الذي يمحو الله به سيطرة الشيوعيين لينال المسيء جزاءه.

التعذيب

في منتصف الليل نودي باسمي، وفتح الباب وخرجت من غرفة المعتقل مرتدياً المعطف العسكري، ورأيت آمري فصائل وحدتنا وعددهم خمسة يقودهم أحد المسؤولين فانضممت إليهم، وأمرنا بالسير إلى مطعم وبهو كتيبة الدبابات، وكان الجو ممطراً وبارداً، وعند دخولنا البهو طلب منا الجلوس على الكراسي حول مائدة المطعم الطويلة وكان جلوسي في الطرف الأخير المواجه إلى باب البهو، وجاء أحد الضباط الملازمين وضربني بقوة على عيني اليمنى ضربة محكمة ومفاجئة جعلت عيني تدمع بكثرة، وحاولت إيجاد منديل في جيبي لمسح الدمع فلم أجد مما جعلني أمسح الدمع براحة يدي وأصابعي وأثناء ذلك دخل أحد الخدم المدنيين ويظهر أنه من أهل الجنوب، وكان رجلاً كبيراً في السن، وقال له أحد الضباط: دونك هذا الخائن فاضربه، فتقدم نحوي وأخذ يتكلم بالكلام المعهود عند الشيوعيين لماذا خنت الزعيم وماذا تريد أن تصير..... الخ إلا أنه لم يمد يده نحوي، فشجعه الضباط على ضربي فتقدم مسرعاً ورفع يده ليؤذيني إلا أنه أنزلها وعاد من حيث أتى دون أن يضربني قائلاً لهم: (هذا ما يسوى الضرب) وصرفه الله عني، ثم دخل عطشان ضيئول وهو محامي شيوعي ووزع علينا دفاتر عليها صورة الملك فيصل الثاني وقال هذا مليككم فاكتبوا اعترافاتكم في هذا الدفتر، وباشرت بالكتابة ولما وصلت السطر الثاني جاء أحدهم وقال: هذا لا يكتب شيئاً فطلبوا مني النهوض، وحضر عدد من ضباط الكتيبة وأحاطوا بي وقال أحدهم: إني ابتكرت طريقة جديدة للتعذيب أريد أن أطبقها على هذا الخائن، ثم قال لي: امتد غرب منضدة الطعام ووجهك على المنضدة فمسك أحدهم برجلي والآخر

بيدي ثم وقف خمسة ضباط اثنان على الطرف الأيمن، والباقي على الطرف الآخر، وكانوا يحملون بأيديهم عصي خيزران ورفعوا عصيّهم الخمسة وبإيعاز من أحدهم شرعوا بالضرب بكل قوتهم وكانت العصيّ تنزل وتصعد بإيعاز من أحدهم وكأنها ضربة رجل واحد، وأنا لا أستطيع الحركة منكبًّا على وجهي وأردد مع نفسي اللّهم اجعلها برداً وسلاماً، وأثناء التحقيق والتعذيب أحضر المسؤولون أحد الضباط المتهمين (معذرة عن ذكر اسمه) وقالوا له إنهم سيطلقون سراحه إن هو قام بضربي والاعتداء عليّ فمانع في البداية، ولكنهم أكدوا إطلاق سراحه إن فعل ذلك فوثق منهم واعتدى عليّ بالضرب، ولما انتهى من ذلك ضحكوا منه وتبين أنهم خدعوه. وبعد عودتي إلى المعتقل شاهدته موقوفاً في الحمام قرب المرافق الصحية في وضع يرثى له، ولما رآني طلب مني العفو عما بدا منه، ووصف نفسه بصفات رديئة فعفوت عنه. ولما تعبوا من الضرب تركوني، ونهضت وعدت إلى مكاني ولم أشعر في وقتها إلا بالقليل من الألم، ثم طلبوا مني الاستمرار بالكتابة وكتبت أشياء تخص ما بعد قيام الثورة فلم يعجبهم ذلك خاصة وأني ذكرت أسماء الضباط الذين هربوا إلى سوريا فقط، وأسندت إليهم كل شيء فلم يعجبهم ذلك فربطوني بالحديد مع ضباط الفوج الذين دخلوا معي، وكان الربط مع بعضنا البعض بجامعات اليد، وربطوا آخرنا بحديد نافذة البهو، وكانوا إذا ضربوا أحدنا ومال من شدة الضرب يميل معه الجميع، وفي إحدى الضربات صاح الملازم حازم العمري بأن يده كسرت ولكنه ضغط على يدي الأخرى ففهمت أن ذلك لدفع الشر عنه وأن يده تألمت ولكنها لم تكسر، وبقينا على هذا الوضع حتى شروق الشمس وجاء أحدهم وفك رباط أيدينا واقتادنا إلى غرفة المعتقل، فاستقبلني المعتقلون فيها استقبالاً حارًّا، وكنت هادئاً ولم أتحدث بشيء في بادئ الأمر وكانت الابتسامة لا تفارقني ولما سئلت عما جرى باشرت بالتحدث شيئاً فشيئاً عما لقيناه، فعجب الجميع وقالوا وكل هذا والابتسامة على وجهك أرنا ظهرك. ولما شاهدوا آثار الضرب لم أسمع إلا لا حول ولا قوة إلا بالله وكان ألمهم شديداً والتشجيع منهم مستمراً.

وحوالي الساعة الثامنة صباحاً طلبت مرة ثانية وخرجت إلى خارج الغرفة. كبلت يداي بالحديد، وقادني أحدهم إلى سيارة كبيرة وجدت فيها ضباط الفوج بأكملهم الذين كانوا معتقلين في نفس المكان وكان الجميع مكبلين بالحديد، ثم تحرّكت السيارة بنا وبعد ١٥ دقيقة وصلنا إلى مكان تبين أنه مقر الهيئة التحقيقية الخاصة في بناية البرلمان العراقي قبل ثورة ١٤ تموز، وحسب طلب المسؤولين صعدنا إلى الطابق الثاني من البناية حيث التعذيب للمعتقلين، وطلب منا الوقوف في زوايا الغرفة نرفع أيدينا فوق رؤوسنا وهي مكبلة بالحديد، ونرفع إحدى الرجلين، وكان معي كل من الرئيس الأول مجيد الجلبي والملازم حازم العمري والعقيد خليل سلمان وباقي الضباط في الغرف الأخرى، وبعد وقوفي فترة بهذا الوضع دخل أحد الضباط الملازمين ويبدو عليه أنه رياضي ومصارع واسمه خالد، ولم أره من قبل فتوجه إلي وتحدث معي عن أسباب ورم عيني وتألمها، فذكرت له أنها بسبب ضربة قوية، فأظهر أسفه الشديد، وأخذ باللوم على الذي فعل ذلك ثم قال كلاماً طيباً جعلني أطمئن إليه فأرخيت يديَّ إلى الأسفل لأريحهما، وفجأة ضربني ضربة قوية على نفس العين المتألمة، وانقلب كالوحش يهذي بكلمات كلها قسوة علينا، وكان الرئيس الأول مجيد الجلبي يتألم كثيراً بسبب ما لقيته، وصاح بالضابط هذا ظلم كفى، فتركني الوحش وأخذ بالاعتداء على الشهيد مجيد الجلبي، وعلمت بعدها أن هذا الضابط من الذين يقومون بالتعذيب وقد قسا قلبه وأصبح كالوحش فاقداً إنسانيته، وقد لقي مصيره المحتوم بعد ثورة ١٤ رمضان. وفي الفترة التي كنا نقف بها في زوايا الغرف كان الضباط الآخرون يدخلون غرف التعذيب ونسمع أصوات تألمهم ونميزهم من أصواتهم، ثم نودي علينا ودخلنا الغرفة المشؤومة وأول ما صادفنا ضباط صف يحملون العصي يقفون عند مدخل الغرفة، وواجبهم ضرب كل داخل إليها وبكل ضراوة وبصورة مفاجئة، ثم دعينا إلى إحدى زوايا الغرفة حيث الرتب والشارات العسكرية مكدَّسة ويقولون: هذه رتبة اللواء فلان وهذه رتبة الزعيم فلان... إلى آخره كلهم جاؤوا إلى التعذيب، وقد كسرنا يد فلان وحطمنا

رجل فلان، يذكرونهم بالأسماء ويتحدثون عما جرى لهم، ثم طلبوا منا الاعتراف وكتابة ذلك على دفاتر وزعت علينا، وإذا لم نعترف فإن مصيرنا مصير من سبقنا فجلست وأمامي مسطبة طويلة وباشرت بالكتابة ولم أكتب إلا بضع كلمات حتى قال لي أحد المحامين المدنيين، إنك لا تعترف، وصاح على الحاضرين مكرراً عبارة إن هذا لا يعترف، ورفع يده ليضربني، فقلت له: إنك محامي ومدني ولا أريدك أن تكون كالعسكريين، فغاظه ذلك وصاح بأعلى صوته مخاطباً جماعته: تعالوا اسمعوا ماذا يقول، فجاء رئيس الهيئة التحقيقية مسرعاً وبعد أن سمع كلام المحامي الذي وصف موقفي بالتحدي وعدم الاكتراث، فقال رئيس الهيئة: فهو حصتي، وأمر اثنين من ضباط الصف بشد الفلقة[1] في رجلي وبسرعة رفعت رجليَّ إلى الأعلى، وتقدم رئيس الهيئة هاشم عبد الجبار[2] يتهادى في مشيته وبيده عصا يلوح بها ورفعها ليضربني فصاح به أحد الضباط: تلفون (سيدي)، فتركني وذهب إلى التلفون وتحدث مع امرأة يبدو أنها تشفع لأحد الموقوفين، ثم ترك التلفون وتوجه نحوي، فكلّمه أحد رؤساء العرفاء ويظهر أنه من منتسبي هيئة التحقيق، وأخذ يوجه إليه كلاماً بذيئاً قائلاً له حتى الزعيم إذا خاننا - ويقصد عبد الكريم - فإننا نسحقه وكان ممتلئاً غروراً إلى فوق أنفه، ثم تركه واتجه نحوي ملوحاً بعصاه ورفعها إلى فوق وقبل أن ينزلها صاح عليه أحد الضباط سيدي الزعيم يطلبك، فترك

---

(١) آلة الفلقة عبارة عن عصا مستقيمة سميكة بعض الشيء مربوط بطرفها بحبل طوله متر ونصف تقريباً يوضع الحبل تحت الأرجل على الأرض وتلف العصا عدة مرات حتى تضغط على الساقين ثم ترفع وترفع معها أرجل المربوط مواجهة للقائم بالضرب والذي يمسك بعصا غليظة تسمى (التوثية) عند أهل بغداد ويكرر الضرب كيف يشاء حتى تتورم رجلا المضروب.

(٢) هاشم عبد الجبار عقيد ركن في الجيش العراقي عمل في الوحدات وقادها، وكان سكيراً أكولاً وكان لطيفاً في معاملته، وكنت أعرفه سابقاً ولكنه أصبح وحشاً مفترساً عندما عين رئيساً للهيئة التحقيقية، وقد هرب بعد انحصار المد الشيوعي إلى روسيا خوفاً من الانتقام منه، وسمعت أنه أصيب بمرض الكآبة وتوفي على أثره.

العصا وهرول نحو التلفون ورفع السماعة قائلاً نعم سيدي أمرك سيدي يكرر ذلك مراراً، ثم قال: سأحضر حالاً، ورمى سماعة التلفون وحمل محفظته واتجه نحو الباب قائلاً لضباط الصف اتركوه لي لحين عودتي فحلَّ ضباط الصف حبل الفلقة وأنزلت رجلاي، فحملت حذائي وأدخلت إلى غرفة مجاورة تحوي عدداً من مناضد الكتابة، وكانت غرفة طويلة، فجلست وراء أحد المناضد وكان في الغرفة أحد نواب الضباط ومن منتسبي الهيئة يجلس وراء منضدة أخرى تبعد عني عدة أمتار، وكان الذي أدخلني الغرفة الشيوعي سعيد مطر[١] الذي اشترك بتعذيب الموقوفين، ثم جلب لي قلماً وأوراقاً وقال لي: اكتب ما تعرفه عن خيانة الموصل، وكانت أصابعي تؤلمني ولا أتمكن من مسك القلم بسهولة من كثرة الضرب التي أصابها ليلة أمس هذا اليوم، فمددت يدي بصعوبة إلى داخل القمصلة التي أرتديها وأخرجت لي سيكارة ووضعتها في فمي وفتشت على علبة الكبريت فلم أعثر عليها، فشعر النائب الضابط الذي كان جالساً في الغرفة ويقوم ببعض الأعمال الكتابية بحاجتي إلى علبة الكبريت وأخرجها من جيبه ورمى بها إليّ ووصلتني وهو خائف يترقب، وكانت أصوات الضباط المعذبين تصل إلينا وكنت أسمع منه كلما علا صوت أحدهم وخاصة مجيد الجلبي يقول ويتمتم: لا حول ولا قوة إلا بالله، ويقطع هذا القول عندما يدخل الضابط سعيد مطر ليستبدله (يستاهلون ليش يتآمرون)، ثم دخل أحد الخدم المدنيين يحمل كوباً من الشاي وقدمه لي، وكان رجلاً مسنًّا يرتدي العقال والسروال، فقلت له شكراً، فقال لي: اشرب. فقلت: أخشى أن يصيبك مكروه، فقال: اشرب فأنا هنا منذ تشكيل أول مجلس نيابي في العراق، وقد شاهدت الكثير، اشرب ولا تخف، فعجبت لشجاعته واطمأننت لكلامه، فشربت الشاي مع السيكارة، ولم أكتب شيئاً لألم

(١) سعيد مطر ضابط شيوعي بذيء اللسان كان يشتم بشكل رخيص وبعبارات لم يسمع مثلها حتى أزعجت رئيس الهيئة لأنها عبارات وقحة جداً يصعب إعادتها ويستحق عليها قطع لسانه كما أنه اقترح على رئيس الهيئة جلب أسر الضباط للتنكيل بهم فلم يوافق على ذلك، وكانت نهايته بعد ١٤ رمضان.

أصابعي، وبقيت على هذا الحال فترة طويلة أدخلت بعدها إلى غرفة معدّة للتوقيف، فشاهدت ضباط وحدتنا في أوضاع مؤلمة من جراء تعذيبهم، ثم طلب منا الدخول إلى قاعة التعذيب مرة ثانية ولم أشاهد رئيس الهيئة، وكان سعيد مطر عوضاً عنه، وكان في انتظارنا كالمرة السابقة عدد من ضباط الصف انهالوا علينا بالضرب، فسقط الشهيد إسماعيل هرمز، فاستمروا بضربه دون رحمة ثم جاء المقدم كامل طه الدبوني وأفلت منهم بصعوبة، ثم جرى استجوابنا كل على حدة ثم أخرج الجميع، وبقيت أنا والملازم حازم العمري فقال لي سعيد بأنّ المقدم كامل الدبوني قد اعترف عليك لماذا لا تعترف عليه، فبقيت صامتاً[1]، ثم وجهوا لي بعض الأسئلة، وكنت أجيبهم قدر استطاعتي، وكانوا ينكرون عليَّ ذلك ويؤذونني مما جعل الملازم حازم العمري الواقف في إحدى زوايا الغرفة يتدخل ليقول لهم: إن الذي ذكرته لهم هو الحقيقة، فانهال عليه الزبانية بالضرب ويصفونه بقلة الأدب لأنه تدخل بغير إذن منهم، ثم جرى التحقيق معه وبنفس القسوة، وأعدنا بعدها إلى غرفة التحقيق، ثم نودي على الشهيد إسماعيل هرمز فذهب إلى قاعة التعذيب للمرة الثالثة، وعاد قائلاً: إنهم عرضوا عليه إطلاق سراحه إن هو تحدث بكل ما يعرف، ولكنه رفض. كما دعيت للشهادة حول نائب ضابط تلميذ كان يعمل في وحدتنا - نسيت اسمه - وعند دخولي قال لي سعيد مطر: اسجد أمامي، فامتنعت فهددني بالضرب، فامتنعت، ثم قال لي: إذاً اجلس على ركبتيك فجلست وسألني عن النائب الضابط التلميذ فشهدت لصالحه وأنه لا يعلم شيئاً عن الحركة وأنه غريب وليس من أهل الموصل، وليس هناك شيء يمكن اتهامه به، وعلمت بعدها أنهم أطلقوا سراحه. عدت إلى غرفة التوقيف ثانية وبقينا فيها إلى الليل، وطلب منا التهيؤ للعودة إلى المعتقل، ونزلنا من الطابق العلوي إلى الباب

---

(١) أخبرني المقدم كامل الدبوني بأنهم قالوا له نفس الكلام، ولكنه عرف قصدهم للإيقاع بيننا فقال لهم: (هو وربه ينجاز) وكنت والمقدم كامل قد تعاهدنا على عدم الحديث إلا بما هو واقع بعد الثورة وأن نضع المسؤولية قدر إمكاننا على الذين هربوا إلى سوريا.

الرئيسي، وركبنا السيارات وحولنا الجنود والمدنيون الشيوعيون يؤذوننا ويهتفون خونة - خونة، وكان المهداوي يجلس في ذلك الوقت على منصة المحكمة وصوته يعلو كل مكان بأنه من أنصار السلام والعدالة، وسارت بنا السيارات إلى معسكر الرشيد ثم كتيبة الدبابات، ونزلنا إلى غرف الاعتقال وكان من فيها قلقين علينا، فحدثناهم بما جرى، وكلنا أمل أن مثل هذا الوضع لا يمكن استمراره، وزدنا ثقة بأنّ ما قمنا به من عمل لكبح شر الشيوعيين كان في محله، ورغم فشله إلا أننا قمنا بواجبنا تجاهه.

الانتقال إلى معسكر الهندسة

بعد انتهاء التحقيق مع ضباط الفوج الثاني جرى نقلنا إلى معسكر الهندسة الواقع في معسكر الرشيد كذلك، والذي لا يبعد كثيراً عن معتقل الدبابات الذي كنا فيه، وخصصت لنا عدة غرف متجاورة، وقد سبقنا إلى هذا المعتقل ضباط الفوج الأول، وكانت الغرف المعدة للتوقيف لا بأس بها وفي داخلها حمام ومرافق صحية، وهي فارغة من الأسرّة أو الفرش أو التدفئة، ننام فيها على الأرض، وخصص لنا بطانيتان لكل منا وضعنا أحدها على الأرض واستخدمنا الثانية كغطاء وكان الهدوء يسود المكان ولما دخلنا الغرفة غلق الباب خلفنا، وسمعنا النائب العريف المسؤول عن حراستنا يذكر اسم الله العظيم، وكان ذلك تفاؤلاً بالنسبة لنا فمنذ اعتقالنا لم نسمع مثل هذا الكلام من الحراس. وكان اللواء الركن سعدي علي معتقلاً في إحدى الغرف إلا أنه كان يعامل معاملة حسنة، ويسمح له بالجلوس على كرسي خارج الغرفة لفترة من الزمن يومياً، كما شاهدت أحد الضباط يمشي على عكازتين منحني الظهر ملفوف الرأس في الضمادات لا يبدو منها إلا عيناه وعلى رجليه ويديه الجبائر، وعلمت أنه من المعذبين وكانت هذه نتيجته. وكان هناك ضابط معتقل في غرفة لوحده دخل عليه عدد من ضباط الصف مع عدد من الضباط وضربوه ضرباً مبرحاً كنا نسمع أصوات استغاثته المؤلمة ثم علمنا أن يديه ورجليه قد كسرت من جراء هذا الاعتداء.

وفي يوم قدم رئيس الكناسين وهو رجل ضخم الجثة جمع الكناسين الذين بأمرته في الحديقة أمام غرفتنا يتحدث إليهم عن الزعيم ويقصد عبد الكريم قاسم وكيف أنه سيجعل من العراق من شماله إلى جنوبه مسابح،

وكيف أن الروس قد سلموا العراقيين مسدساً يرمي مئات الأمتار، وبعد انتهاء المحاضرة دخل إلى غرفتنا لتنظيفها مع الكناسين ولما دخل الكناسون إلى الحمام أمرهم بالخروج وقال لهم اخرجوا كيف ننظف غرف الخونة لماذا لا ينظفونها هم، فخرج الكناسون وبقي هو لوحده فقال لنا لا تخافوا الدنيا كلها معكم وأخرج من صدره جريدة ألقاها إلينا ثم خرج فجمعنا له كثيراً من القواطي المعلبة وناديناه لأخذها فقال: اتركوها وسأعود لأخذها بعد الدوام، واستمر تردده علينا كل يوم ويلقي إلينا بالصحف ويعطينا بعض الأخبار المطمئنة، وقد علمت أن ضباط الهندسة أكرموه كثيراً بعد ثورة ١٤ رمضان.

بوشر بمحاكمة ضباط الفوج الأول أمام محكمة المهداوي وأخذوا عصراً إلى المحكمة وعادوا في منتصف الليل، وسمعنا أصوات استغاثتهم وأنينهم، وعلمنا أن الشيوعيين وضعوهم في أحواض مملوءة بالماء وضربوهم بالعصي وكلما أراد أحدهم إخراج رأسه لاستنشاق الهواء نزلت العصي متوالية على رأسه مما يضطره إلى الغوص داخل الماء، وأخرجوهم من الماء وطلبوا منهم الاستلقاء على الأرض الرطبة، وأن يبحثوا في الأرض كما تفعل الحيوانات وهم وقوف على رؤوسهم وبيدهم العصي الغليظة (التوثية)، وأمروا بالنوم بثيابهم المبللة، وقد تألمت ومن معي لوضعهم، وكان سبب تعذيبهم أنهم عند دخولهم المحكمة لم يؤدوا التحية للمهداوي، وتكررت جلسات محكمتهم وصدرت الأحكام ونقلوا إلى السجن المركزي في باب المعظم في بغداد.

خرجت لمواجهة والدتي وأخواتي لأول مرة منذ اعتقالنا وقد تجشموا صعاب السفر ولقوا الأمرين لهذه المواجهة، وكان الشيوعيون في باب مدرسة الهندسة - حيث المعتقل داخلها - يلقون التراب على رؤوسهم وأسمعوهم كلمات نابية، وصادف مرور آمر مدرسة الهندسة من الباب النظامي فشاهدهم ورقّ لحالهم، وأمر بإدخالهم لمواجهتي، وقد علمت منهم أخبار الأسرة وأخبار البلد وأخفوا عني اعتقال والدي وأخي نذير، وقد علمت منهم موعد محاكمتنا نقلوها عن السيد طه مكي أحد أقربائنا (ومن الأساتذة المرموقين

والمعروفين بالضبط والخبرة قاوم الشيوعية بصلابة - وكان متعقباً الأخبار متفائلاً بالنتيجة قاد المظاهرات عام ٩٦١ في الأعظمية). وقد كان لقائي معهم مؤثراً، وكان بالنسبة لي مطمئناً، وقد نصحتهم بالكف عن زيارتي لما فيها من متاعب، ثم انصرفوا، وبعدها حضر إلى غرفتنا الزعيم الجدة آمر الانضباط العسكري فوقفنا لتحيته وبلغنا موعد المحكمة وأنه سيكون يوم الغد وقال لنا: يا أولادي أوصيكم بعدم التحدث بأي شيء يمس المحكمة، ويقصد عدم التحدث عن التعذيب الذي لقيناه وأن تكونوا مؤدبين خشية أن يصيبكم من الأذى ما أنتم بغنى عنه، وإن أي تصرف منكم يسيء إلى المحكمة سيؤدي إلى تنفيذ حكم الإعدام لضباط الفوج الأول فقلت له ماذا فعلنا لنلقى هذا المصير؟ فقال: نعم إن ثورتكم (كضرطة الواوي) إلا أنها كبحت الزعيم على وجهه وهذا نص ما قاله ويعني به أن ثورة الموصل لم يكن من الصعب القضاء عليها إلا أن نتائجها كانت كبيرة زعزعت مكان الزعيم عبد الكريم قاسم.

حضر بعده عدد من الضباط الشيوعيين بيدهم العصي الغليظة وقالوا لنا: كل من يتصرف بشيء يخلّ بالمحكمة سيضرب بهذه (التواثي)، وقد رأيناهم يجمعونها ويهيئونها للضرب.

وفي الليل جرت المناقشة بيننا، واقترح أحدنا الهروب من المعتقل في حالة تنفيذ الحكم في ضباط الفوج الأول وإعدامهم وكانت الخطة تقضي بعبور نهر دجلة سباحة، وكان النهر قريباً من محلِ الاعتقال للوصول إلى منطقة خالية من المعسكرات حيث إن الهروب من داخل معسكر الرشيد صعب لكثرة نقاط الحراسة، وقد اعترض آمرنا المقدم إسماعيل هرمز على ذلك لعدم معرفته السباحة وكانت هذه فكرة فقط لم يجر عمل آخر لتنفيذها بسبب عدم تنفيذ الأحكام في ضباط الفوج الأول لحين التقائنا معهم. كما جرى الاتفاق على عدم الإساءة إلى المحكمة وعدم الاعتراض على أي شاهد أو على أي سبب آخر تفادياً للإيذاء والإهانات وحفاظاً على ضباط الفوج الأول.

لوجود الفراغ الكبير لدى المعتقلين كنت أخلو إلى نفسي لأستعرض ما جرى منذ ثورة ١٤ تموز وكيف فرحنا بها وصفقنا لها، فإذا الأمور تنعكس

بسرعة وتصل الحالة إلى ما نحن فيه من تعذيب وقتل وسحل وتعليق نساء على أعمدة الكهرباء عارية وفوضى وهتافات وقذف وتسلط وخوف ونهب وسلب واعتداءات كل ذلك حدث بأيدي وأشخاص عراقيين، ولم يكن من جنود احتلوا البلد أو غرباء دخلوها، والذي يسترعي الانتباه أن الذين قاموا بهذه الأعمال لم يصب منهم أحد بأذى حتى أولئك الموقوفين في ثورة الموصل كانوا جميعاً برعاية المسؤولين ورعاية الشواف نفسه ولم يسمح بإيذاء أي منهم أثناء وجوده، ورغم أنهم بقوا بالتوقيف لمدة ثلاثة أيام فقط إلا أنهم خرجوا لينفذوا مخططاً معدًّا من قبل لتخريب البلد والاستيلاء على الحكم تحت ضغط الخوف والتهديد، ولم تكن الغاية من ثورة الموصل إلا إيجاد حل معتدل لإعادة القانون والنظام إلى البلد والسير به إلى شاطئ السلامة لإبعاد قاسم عن الحكم وليحل محله آخر أو مجلس قيادة، ولو نجحت الثورة لأطلق الشواف سراح الشيوعيين دون محاسبتهم عن أي شيء، ولم يكن يحمل لهم أي كراهية وكنت أعلم وزملائي أن الموت نصيبنا وكان أملنا الوحيد أن نلقى ربنا وهو راضٍ عنا لأنّ عملنا وما قمنا به محاولة لإعادة كرامة الإنسان الذي كرمه الله سبحانه وتعالى، ثم تناولت المصحف الشريف فوقع نظري في أول فتحة على آية ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ وكان ذلك عن غير قصد وبالصدفة وكانت هذه الآية بمثابة الانطلاق من اليأس إلى الأمل بالنسبة لي.

المحاكمة

إن تفاصيل جلسات المحكمة مدون في (الجزء الرابع عشر) من أجزاء محكمة الشعب، ومن يطلع عليها يرى أنها لم تكن تهتم بالمحاكمات اهتمامها بمهاجمة جمال عبد الناصر واللغو الكثير الذي كان المهداوي رئيس المحكمة والمدعي العام ماجد محمد أمين يطلقانه وسط الهتافات والأهازيج والقصائد الشعرية والتصفيق بمناسبة، وبغير مناسبة كل ذلك شاهدناه طوال فترة المحاكمة، وكان المهداوي والمدعي العام في فترات الاستراحة للمحكمة يهددان المتهمين في حالة اعتراضهم أو عدم رضوخهم لكل ما يقولانه، وقد ساءت سمعة المحكمة داخل العراق وخارجه، وأصبحت مثلاً يضرب لمن يسيء إلى العدالة، وقد حدثني المقدم داود محمد الذي كان يعمل رئيساً لهيئة الرقابة على البريد في الموصل، سمع المهداوي في إحدى جلسات المحكمة يشيد بفرنسا وكتاب فرنسا ومجلات فرنسا لأنهم حسب ادعائه يشيدون به وبمحكمته ويعتبرونها مثالاً للمحاكم، وفي يوم جاءهم أمر بجمع إحدى المجلات الفرنسية من أصحابها وإتلافها وكانت هذه المجلة الفرنسية ترد إلى عدد قليل في الموصل معروفين لدى هيئة الرقابة، فأرسل إليهم المقدم داود محمد وطلب منهم تلك المجلات فأحضروها، ولما سألهم عما فيها مما اضطر السلطات إلى جمعها أجابه أحدهم إن في المجلة قصة أحد المحامين الفرنسيين الذي طلب من رئيس المحكمة تأجيل القضية التي يترافع من أجلها إلى موعد آخر فرفض رئيس المحكمة ذلك، فما كان من المحامي إلا أن وصف رئيس المحكمة بعبارة (مهداوزم) فغضب رئيس المحكمة ونهض من كرسيه وأقسم أن لا يعود إليها إلا بعد ثبوت براءته من هذا الوصف. ويظهر أن

المهداوي خُدع من قبل أحدهم الذي أخبره بأنّ المجلات الفرنسية تمدحه فمدحها من على منبره، ولما تبين له غير ذلك أمر بإتلاف المجلات الفرنسية وذهب يهاجم فرنسا وكتابها وحكامها. هذه المحكمة (المهداوية) لم يسبق بالتاريخ من حذا حذوها قضت على كثير من قادة الفكر وقادة الجيش وضباطه ظلماً وعدواناً يؤيدها الغوغاء وجلاوزة عبد الكريم قاسم وزبانيته.

حوالي الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الثلاثاء ٥/ مايس/ ١٩٥٩ حضر أحد ضباط الانضباط العسكري برتبة نقيب وقادنا إلى خارج المعتقل بسيارة كبيرة إلى بناية المحكمة بعد أن كبلوا أيدينا بالحديد ووضعنا في غرفة ضيقة تكاد تسعنا، وكنا أحد عشر متهماً وبقية أيدينا مربوطة بالحديد وكانت الهتافات مستمرة ونسمعها بوضوح من داخل القاعة الكبيرة - حزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي - وحضر المحامي الذي وكلته المحكمة عنا دون رغبتنا لمدة ٥ دقائق سألنا فيها عدة أسئلة ثم انصرف، ثم فتحت الجامعات من أيدينا ونودي علينا واحداً واحداً حتى دخلنا جميعاً قفص الاتهام ثم باشر المهداوي يسأل كلًّا منا عن اسمه وعمره ومهنته ثم باشر المدعي العام بمطالعته وكانت ثلاث عشرة صفحة من الحجم الكبير مخصص أكثرها للهجوم على جمال عبد الناصر ونظام الحكم في الجمهورية العربية المتحدة الذي كان نفس المدعي العام يشيد بها في أول محاكمة رجالات العهد الملكي ثم وجهت التهمة إلينا وأنهى مطالعته، وبعدها شكر المهداوي المدعي العام على مطالعته التي وصفها بالطول والمتعة، ثم سأل كلًّا منا عما إذا كان مذنباً أو بريئاً فأجاب الجميع - بريء إن شاء الله - بوشر بعدها بالاستماع إلى شهادات الشهود يتخللها تعليقات رئيس المحكمة والمدعي العام وسط هتافات وتصفيق لعبد الكريم قاسم كل مرة يذكر فيها اسمه واستمرت الجلسات وعددها ستٌّ واحدة تشبه الأخرى بعيدة عن موضوع الاتهام فقط لمهاجمة جمال عبد الناصر وعبد الحميد السراج وغيرهما.

ومرة انقطع التيار الكهربائي لبضعة دقائق فهدأت المحكمة وهدأ المهداوي ووضع رأسه على يده ونام، ولما عاد التيار الكهربائي أيقظه أحد

أعضاء المحكمة فانتبه كالمذعور وصاح إن هذا شعبنا شعل عظيم.... الخ وكان المهداوي يهاجم زوجة كامل إسماعيل الإنكليزية ويصفها بأوصاف هي بريئة منها وكان كامل إسماعيل يلزم الصمت، وفي إحدى الاستراحات قلت له إذا ذكر زوجتك مرة ثانية بسوء فقل له إن زوجتي شريفة ولا أسمح لأحد بذكرها، فلما قالها للمهداوي تغير موقفه منها وترك العبارات النابية. وكان أحد المستمعين قريباً من قفص الاتهام وهو صحفي لم أسمع منه طوال فترة المحاكمة إلا شتمنا بصوت خافت ولم يعجز عن ذلك طوال الوقت كأنه مكلف بواجب، ودخلت المقاومات الشعبيات إلى غرفة الاستراحة وقالت إحداهن (حيفن على هل الشباب خونة) ومن الغريب أن أحد عرفاء الانضباط العسكري قال لي قبل انتهاء المحاكمة بأن الأحكام قد صدرت وأنه من رتبة رئيس فما فوق إعدام ودون ذلك سجن مؤبد فظننت ذلك تقولاً منه، ولما صدرت الأحكام كانت كما قال. كان المهداوي يسأل بعض المتهمين عن الشيوعية وقد هيأت في ذهني قولاً لطه حسين عنها من أن الشيوعية تمنع الحرية وتضمن الحياة الاجتماعية وأن الرأسمالية تبيح الحرية ولا تضمن الحياة الاجتماعية، وإن الإسلام وسط بين هاتين يضمن الحرية ويضمن الحياة الاجتماعية، وفي إحدى الجلسات باشر المهداوي تعليقاته فأخذ يهاجم طه حسين ويصفه بأوصاف غير لائقة - طه حسين أعمى العينين در نفيس رعم سيس .... إلى آخره. فما كان مني إلا أن سكتُّ ولم يسألني هو عن الشيوعية.

صدرت الأحكام وكانت بالنسبة لنا (ستة)[1] حكم عليهم بالإعدام رمياً بالرصاص من رتبة رئيس فما فوق وعلى (خمسة)[2] منا بالسجن المؤبد وقد تلقى المحكومون الحكم بكل رباطة جأش ولم يبد منهم أي مظهر غير طبيعي، وكانت الابتسامة تظهر على وجوههم فلما شاهد ذلك معلق الإذاعة والتلفزيون وصفهم بالانهيار، ولم يكن ذلك حقيقة، وكانت الهتافات والتصفيق أشد من

(١) وهم إسماعيل هرمز وكامل الدبوني ومجيد الجلبي وحازم حسن وصديق إسماعيل وزكريا طه.

(٢) وهم كامل إسماعيل وحازم العمري وهاني عبد القادر وسالم الحجية وأنور العساف.

كل مرة فرحين مهللين للأحكام، وانتهت المسرحية وسحبنا من قفص الاتهام ونقلنا إلى سجن الموقف في بغداد قرب باب المعظم وتمّ ربط كل اثنين منا بجامعة يد واحدة، وكان في انتظارنا على باب السجن مئات من الفوضويين يهتفون: خونة خونة، وحاول قسم منهم الاعتداء علينا، وكنت وزميلاً لي جالسين بجانب سائق السيارة مما اضطرنا للنزول من محل جلوس السائق إلى باب السجن مباشرة خشية وصول أيدي الفوضويين إلينا.

شهداء ثورة الشواف

خيرة الرجال من العسكريين والمدنيين قتلهم الزعيم عبد الكريم قاسم لوقوفهم أمام المد الشيوعي



الشهداء العسكريون عام ١٩٥٩

العقيد الطيار عبدالله ناجي

النقيب الطيار قاسم العزاوي

الملازم الطيار قاسم عاشور

الملازم الطيار فاضل ناصر



الضباط السبعة الذين خفض عنهم حكم الإعدام إلى السجن المؤبد وهم من اليمين
النقيب حازم حسن العلي، المقدم يوسف كشمولة، النقيب صديق إسماعيل، المقدم عبدالله الجبوري،
النقيب محمد سعيد قاسم، المقدم كامل طه الدبوني، النقيب صديق سيد علي الصفار.

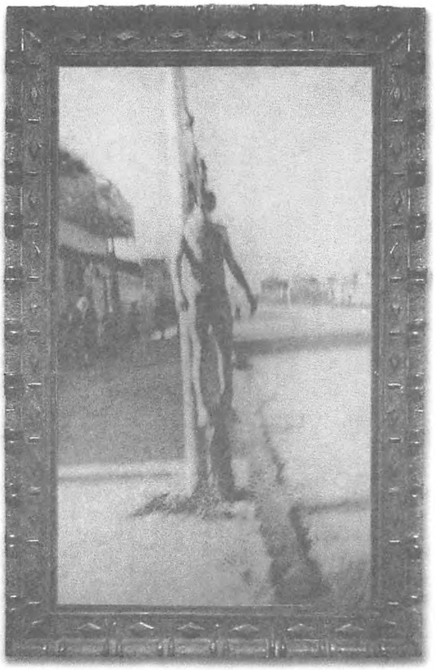
لأجل منع هذه المآسي ثار الشواف

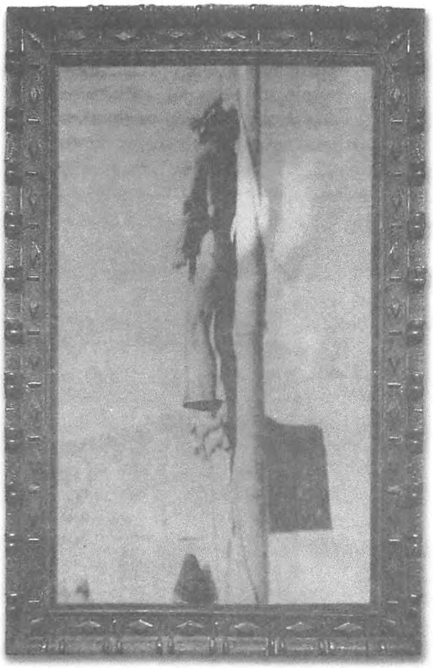
مارت / ١٩٥٩

ضحايا المد الشيوعي بالموصل
قتل وسحل وتعليق جثث من النساء والرجال

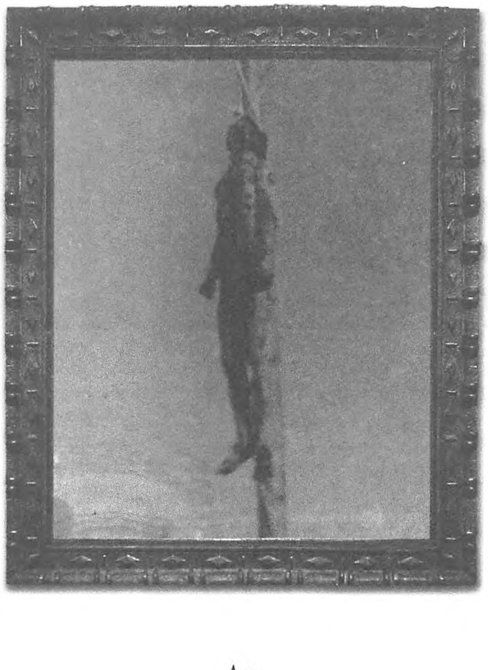


. جثث الشهداء بعد سحلهم والتمثيل بجثثهم

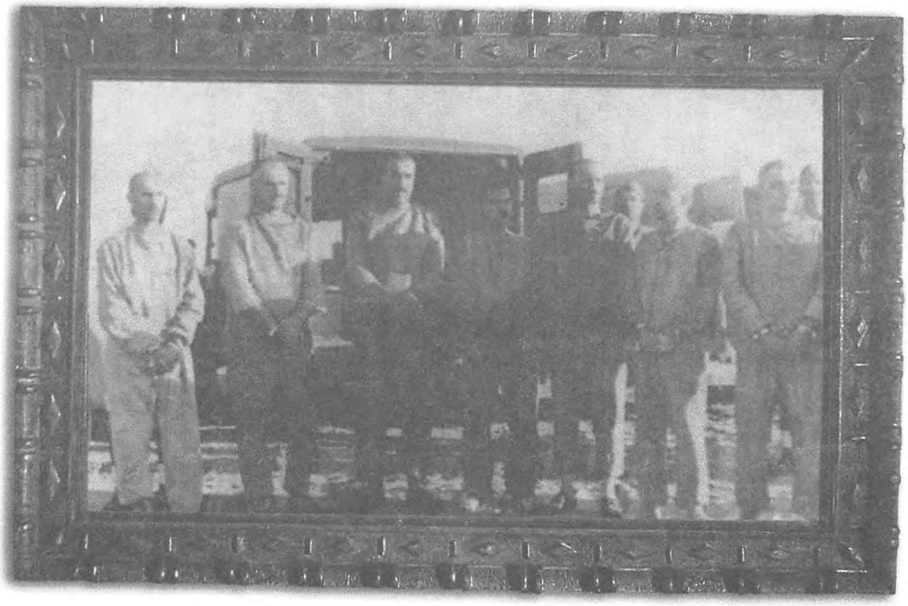




هكذا عُلق الأحرار على أعمدة الكهرباء من قبل الشيوعيين



شهداء ثورة الشواف في الموصل



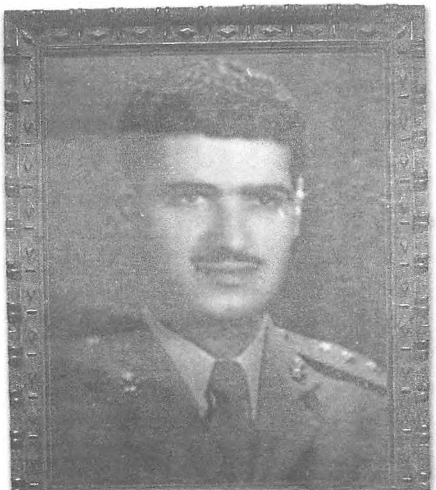
الضباط الشهداء من اليمين
الملازم حازم خطاب - النقيب هاشم الدبوني - العقيد رفعت الحاج سري
العقيد خليل سلمان - العميد الركن ناظم الطبقجلي
المقدم الركن عزيز أحمد شهاب - النقيب يحيى حسين الحماوي



الشهيد توفيق يحيى اغا



الشهيد علي توفيق



الشهيد داود سيد خليل



الشهيد مجيد الجلبي



الشهيد رفعت الحاج سري



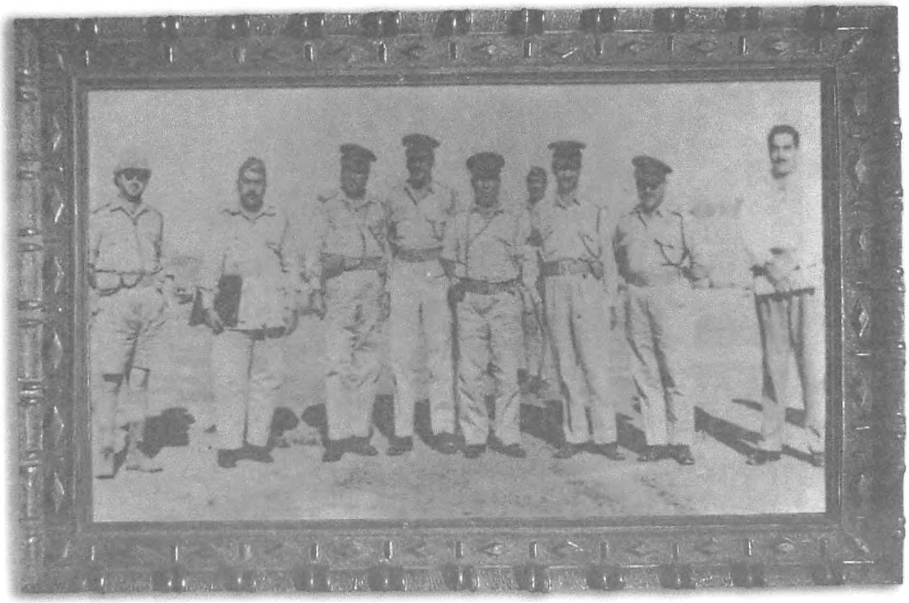
الشهيد ناظم الطبقجلي



الشهيد عزيز أحمد شهاب



الشهيد خليل سلمان



المهداوي ووصفي طاهر وماجد محمد أمين وكريم الجده
في ساحة ميدان الرمي في أم الطبول



الشهيد زكريا طه



الشهيد يحيى حسين الحماوي



جميع الضباط المحكومين في ثورة الشواف:

● الواقفون من اليمين:

ملازم هاشم يونس - نقيب منعم حميد - نقيب حازم حسن -
ملازم أول كامل إسماعيل - ملازم حازم العمري - ملازم هاني عبد القادر -
ملازم سعيد فتحي - نقيب أمين كركجي - ملازم هاشم حنون - ملازم ذنون جاوشين -
ملازم أول سلطان خلف - ملازم أول سالم الحافظ - ملازم سالم سعيد الحجية -
ملازم حاتم عبد العزيز - ملازم أول حسن محمد صالح.

● الجالسون على الكراسي من اليمين:

المقدم عبدالله الجبوري - المقدم كامل الدبوني - عقيد ركن سعيد الشيخ- رئيس محمد سعيد قاسم - عقيد إبراهيم الكيلاني -
عقيد ركن منير فهمي الجراح - مقدم يوسف كشموله - رئيس صديق الصفار -
نقيب صديق إسماعيل - مقدم ركن يونس عطا رباشي.

● الجالسون على الأرض من اليمين:

الإمام سعيد عبد العزيز - ملازم ساطع الحاتم -
ملازم طارق حسين - ملازم عبد الرزاق إسماعيل - ن ض أنور العساف -
م. أول غانم فتحي - ملازم عبد الرحمن مصطفى.

أسماء الضباط والمدنيين
الذين استشهدوا من جرّاء ثورة الشواف

١- العقيد الركن	عبد الوهاب الشواف
٢- المقدّم	صديق زين العابدين
٣- المقدّم	سعد الله الراوي
٤- المقدّم البيطري	جلال الخشالي
٥- الرائد	محمد سعيد شهاب
٦- الرائد	يونس خليل
٧- الرائد	أحمد فتحي
٨- الرائد	محمد طاهر عمر آغا
٩- النقيب	عبد الجواد عبد الحميد الصائغ
١٠- النقيب	إسماعيل القصاب
١١- الملازم الأول	عبد الغني مصطفى الجلبي
١٢- الملازم الأول	خيري الخيرو
١٣- الملازم الأول	حسام الدين شاكر
١٤- الملازم الأول	غانم عموري
١٥- الملازم	حازم الحمطاني
١٦- الملازم الطيار	صائب الصافي
١٧- الإمام	توفيق علي النعيمي

الضباط الأبطال الذين استشهدوا رمياً بالرصاص في أم الطبول

يوم ٥/ ٤/ ١٩٥٩

١- عقيد الجو عبدالله ناجي
٢- نقيب الجو قاسم محمد علي العزاوي
٣- الملازم الأول الطيار أحمد عاشور
٤- الملازم الطيار فاضل ناصر

يوم ٢٥/ آب/ ١٩٥٩

١- النقيب الركن نافع داود أحمد
٢- النقيب محمد أمين عبد القادر
٣- الملازم الأول سالم حسين السراج
٤- الملازم مظفر صالح الأمين
٥- الملازم محسن عموري
٦- السيد فاضل حمادي الشكرة
«أعدم شنقاً في سجن بغداد المركزي»

يوم ٢٠/ ٩/ ١٩٥٩

١- العميد الركن ناظم الطبقجلي
٢- العقيد رفعت الحاج سري
٣- العقيد خليل سلمان
٤- المقدم الركن عزيز أحمد شهاب
٥- المقدم الركن علي توفيق
٦- المقدم إسماعيل هرمز
٧- الرائد توفيق يحيى آغا
٨- الرائد مجيد حميد الجلبي
٩- النقيب الركن داود سيد خليل
١٠- النقيب يحيى حسين الحماوي
١١- الملازم الأول زكريا طه
١٢- الملازم الأول حازم خطاب
١٣- الملازم محسن العمري

ضباط الصف الأبطال الذين استشهدوا في الموصل

١- نائب ضابط كاتب	عبدالله عزيز
٢- العريف	محمد محمود
٣- نائب العريف	داود جلود
٤- نائب العريف	يونس فتاح

الضباط الذين حكموا بالإعدام وخفض الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة

١- المقدم	كامل طه الدبوني
٢- المقدم	يوسف كشمولة
٣- المقدم	عبدالله الجبوري
٤- النقيب	صديق سيد علي الصفار
٥- النقيب	حازم حسن العلي
٦- النقيب	صديق إسماعيل الكتبي
٧- النقيب	محمد سعيد قاسم

الضباط الذين حكموا بالأشغال الشاقة المؤبدة

١- العميد الركن	سعيد الشيخ
٢- العقيد الركن	منير فهمي الجراح
٣- المقدم الركن	يونس عطار باشي
٤- العقيد	إبراهيم الكيلاني
٥- النقيب الصيدلي	أمين مجيد كركجي
٦- النقيب المظلي	عبد المنعم حميد
٧- العقيد الركن المتقاعد	جميل الخشابي
٨- الملازم الأول	كامل إسماعيل
٩- الملازم الأول	غانم فتحي الشاهري
١٠- الملازم الأول	غانم محمد العبدالله

١١- الملازم الأول	حسن محمد صالح
١٢- الملازم الأول	سلطان خلف
١٣- الملازم	سالم سعيد الحجية
١٤- الملازم	هاني عبد القادر
١٥- الملازم	عبد الرزاق إسماعيل
١٦- الملازم	طارق حسين المجيد
١٧- الملازم	حازم محمد هاشم العمري
١٨- الملازم	سالم يحيى الحافظ
١٩- الملازم	هاشم يونس
٢٠- الملازم	سعيد محمد فتحي
٢١- الملازم	هاشم حنون
٢٢- الملازم	ذنون يونس الدباغ
٢٣- الملازم	ساطع شريف الحاتم
٢٤- الملازم	حاتم عبد العزيز
٢٥- الملازم	عبد الرحمن مصطفى
٢٦- نائب الضابط الحربي	أنور العساف
٢٧- الملازم	سعيد عبد العزيز

الشهداء المدنيون الذين استشهدوا في الموصل

١- هاشم الشكرة
٢- أحمد الحاج بكر
٣- هاني زيدان الحاج بكر
٤- إسماعيل الحجار
٥- أحمد السوري
٦- داود السنجري
٧- عادل سيد خضر
٨- غالب عتو
٩- صالح حنتوش
١٠- حامد عبدالرحمن
١١- عقيل أحمد ملا إبراهيم
١٢- عبدالرحمن أيوب الأعضب
١٣- قاسم يحيى الخشاب
١٤- زكي سيد عزيز الخشاب
١٥- سعدو كرموش
١٦- مصطفى سيد خليل الخشاب
١٧- عبدالرزاق كشمولة
١٨- الإمام هاشم عبدالسلام
١٩- محمود شهاب
٢٠- أحمد الحجا محمد الشيخ علي
٢١- عبد اللطيف عبدالقادر عبيد آغا
٢٢- عزيز عبدالقادر عبيد آغا
٢٣- محمد فاتح عبدالمجيد شوقي البكري
٢٤- ياسين العكيدي
٢٥- سلطان أحمد أبو وردة

٢٦- عبدالجبار سلطان
٢٧- غازي إبراهيم
٢٨- عليه طه الراوي
٢٩- بتول محمد
٣٠- قاسم غزال
٣١- جبوري العاني
٣٢- نشمي عائد الشمري
٣٣- إدريس كشمولة
٣٤- فاروق إدريس كشمولة
٣٥- إدريس عمر كشمولة
٣٦- محمد خيري إدريس كشمولة
٣٧- أحمد إدريس كشمولة
٣٨- عبدالكريم محمود كشمولة
٣٩- شيت محمد كشمولة
٤٠- عبدفتحي السنجري
٤١- حامد فتحي السنجري
٤٢- علي العمري
٤٣- حفصة علي العمري
٤٤- نوري الفيصل الشمري
٤٥- بنيان ذياب الشلال الشمري
٤٦- عبدالهادي عليان الجارالله الشمري
٤٧- عبدالرزاق الحميدي الشمري
٤٨- حسين عقيل الشمري
٤٩- صبح عماش الشمري
٥٠- حواس جدوع الشمري



الشهيد قاسم العزاوي



الشهيد عبد الوهاب الشواف



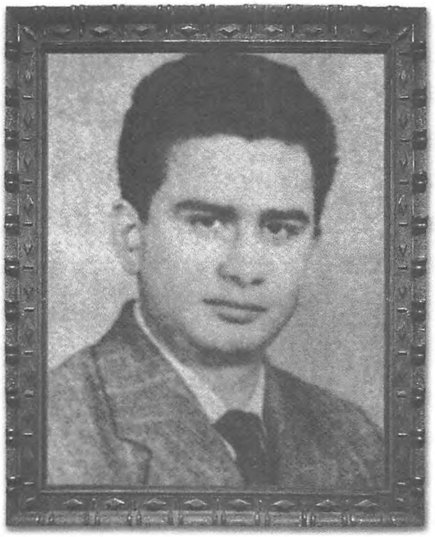
الشهيد عبد الغني الجلبي



الشهيد سعد الدين الجلبي



الشهيد أحمد فتحي



الشهيد فاروق كشمولة



الشهيد مظفر صالح



الشهيد سعدالله الراوي



الشهيد خيري الخيروا



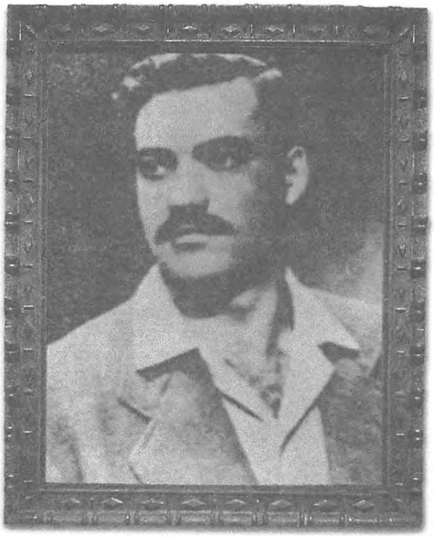
الشهيد حازم الحمطاني



الشهيد فاتح البكري



الشهيد غانم عموري



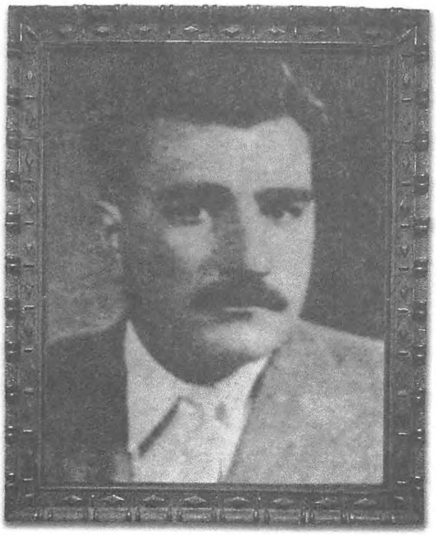
الشهيد إسماعيل حجار



الشهيد غالب أحمد عتو



الشهيد صالح حنتوش



الشهيد عبد الرزاق شندالة



الشهيد علي العمري



الشهيد محمد طاهر أحمد



الشهيد يونس خليل



الشهيد عمر الشعار



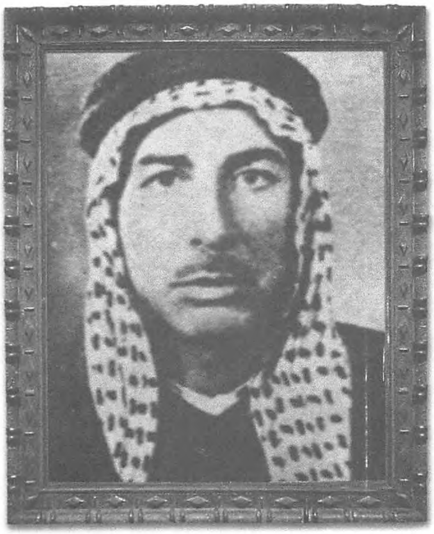
الشهيد إدريس عمر كشمولة



الشهيد خيري كشمولة



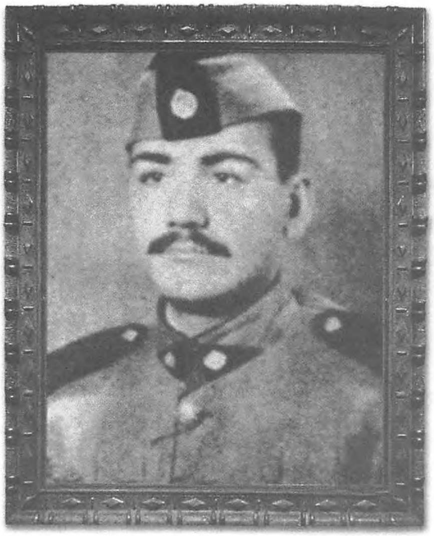
الشهيد عباد السنجري



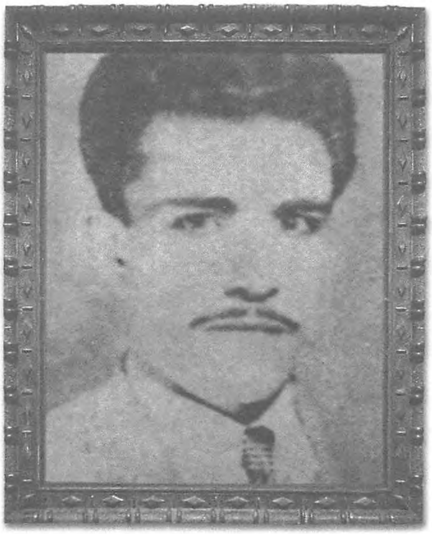
الشهيد إدريس كشمولة



الشهيد عبد الجواد حميد



الشهيد أحمد إدريس كشمولة



الشهيد فاضل الشكرة



الشهيد محمد سعيد شهاب



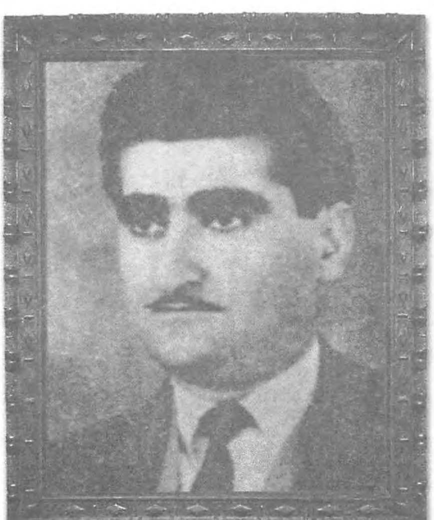
الشهيد جلال أحمد إسماعيل



الشهيد سالم حسين



الشهيد عقيل ملا إبراهيم



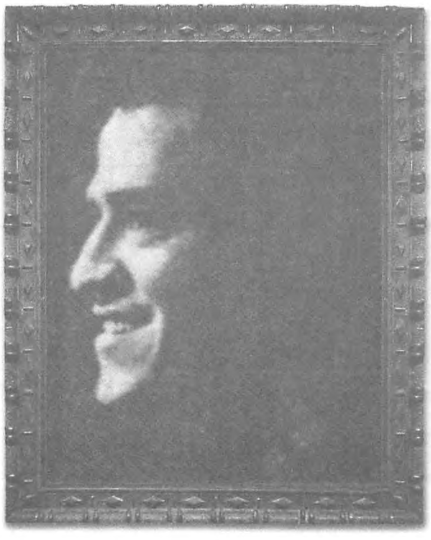
الشهيد محمد أوجي



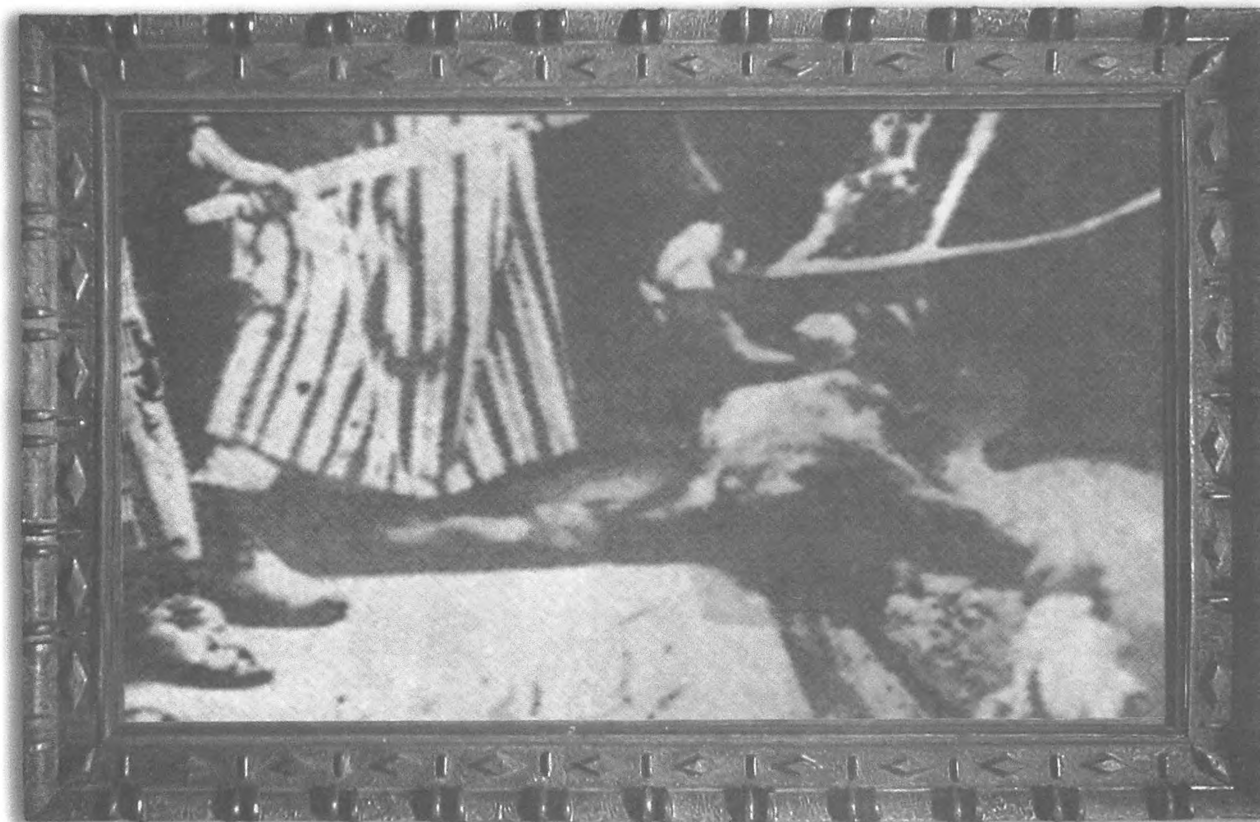
الشهيد زكي الخشاب



الشهيد الإمام توفيق النعيمي



الشهيد باسل محمد ثابت



الشهيد زكي الخشاب (جثة مسحولة بالحبال)



الشهيد محمد أمين عبد القادر



الشهيد إسماعيل هرمز



الشهيد حازم خطاب



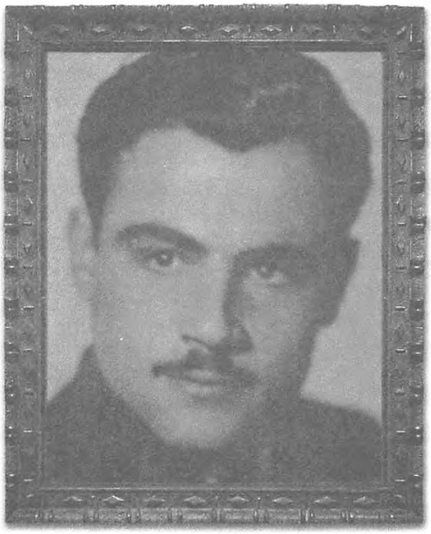
الشهيد هاشم الدبوني



الشهيد مظفر صالح أحمد الأمين



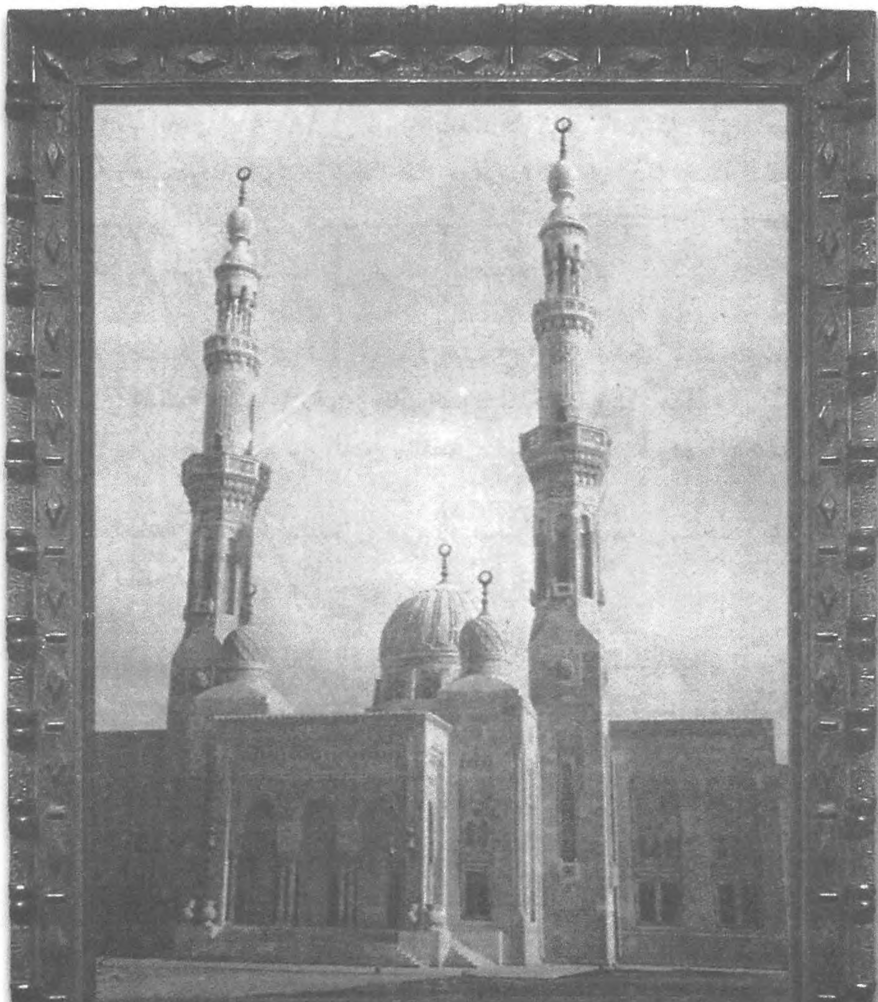
المرحوم سالم حسين



الشهيد النقيب الركن نافع داود أحمد



الشهيد محسن عموري



جامع أم الطبول «جامع الشهداء» الذي أقيم على الأرض
التي نفذ فيها حكم الإعدام بشهداء ثورة الشواف الأبرار

قصيدة الشاعر عدنان الراوي
التي نظمت بمناسبة إعدام الشهداء

قل للزعيم الأوحد ... قل للكريم المفرد
قل للجلاوزة الطغا ... ة الراجفين من الغد
العاجنين دم الشباب ... هناك بالطين الردي
المسكتين عن الحقيقة ... قول من لا يحمد
الظالمين الشعب في ... ليل العراق الأسود
قل للألى عقدوا الرصاص ... متارساً للسيد
آمنت بالشعب الأبيّ ... يحطم القيد الصدي
آمنت بالشعب العظيم ... يعيد تموز الندي
يا ثورة العشرين يا ... رمز النضال السرمدي
عادت ليالي الخائنين ... بلادهم فلتشهدي
عاد الطغاة إلى الحمى ... والعود ليس بأحمد
هزّي الحصون القائما ... ت على طريق المعبد
في كل شبر منك ثأ ... ر للغد المتوعّد
وبكل شبر نقمة ... شماء لم تستنفد
درب الدماء منوَّر ... للثائر المتجلِّد
تموز ياتموز عُدْ ... عُدْ للحمى وتجدّد
وامسح دموع الأربعين ... بنورك المتوقّد
عبدالسلام هناك يا ... تموز رهن مُقيّد

ورشيد تعصره السجون بظلّها المتلبّد
وبقية الأحرار بين مطوّق ومشرّد
فكّ الرهائن يا عرا ق بزحفك المتجرّد
واجعل نهاية لاحقين كسابقين وممّهد
للثورة الكبرى تطيح بأرعن وبأوغد
أرض الرميثة لم تزل ظمأى لأكرم مورد
للدم تصطبغ البطا ح به مسيل السُّؤدد
أم الطبول غداً نُقيم عليك ركن المسجد
باسم السلام أطلّ فجرك أرغداً لا يهتدي
يا حفنة من رملك المعطور تجمعها يدي
قسماً بأبطال العرا ق وكل حرّ أمجد
وممدّد في فجرك الدا مي وغير ممدّد
بالكاشفين صدورهم للنار أي مخلد
سنعيد تموز العرو بة في حطام المعتدي
والوحدة الكبرى بيا رق شعبنا المتوحّد
أم الطبول تحفَّزي للثأر لا تتردّدي
وخذي بناصية الطغا ة عنيدة وتمرّدي

السجن

ودخلنا السجن وأول ما وقع نظري عليه غرف مكشوفة السقوف وجدرانها من قضبان الحديد أحدها متصل بالآخر ولكلّ منها بابان يفتح الأول فندخل إلى الغرفة ثم يغلق ويفتح الباب الثاني وهكذا إلى أن وصلنا إلى نهاية غرف الحديد حيث شاهدنا غرف إدارة السجن، وعن يمينها باب صغير دخلنا منه إلى ساحة مكشوفة فيها عن اليمين واليسار غرف اعتيادية، ثم اتجهنا إلى اليمين حيث شاهدنا مجموعة أخرى من الغرف يواجهها جدار عالٍ هو جدار السجن الرئيسي والمعدّ للمجرمين، وفي نهاية الجدار توجد المرافق الصحية بدون أبواب وأثناء مروري من بين الغرف شاهدت قاعة طويلة فيها أسرّة نوم منظمة ظننتها مستشفى، وشاهدت على بابها اللواء الركن عمر علي، ثم تبيّن لي أن هذه القاعة لسجن رجال العهد الملكي ورجال الجيش السابقين، بعدها سرنا مسافة قصيرة ودخلنا غرفة أخرى وشاهدنا ضباط الفوج الأول الذين سبقونا إلى السجن، وكان لقاؤنا معهم حارًّا فحدثونا عن أساليب التعذيب التي شاهدوها في السجن، وعن سلاسل الحديد التي وضعت في أرجلهم وأيديهم، وعن حلاقة رؤوسهم، كل ذلك كان تمهيداً لإعدامهم إلا أن سلاسل الحديد رفعت عنهم، ومعنى ذلك أن التنفيذ للإعدام تأجل. ومرّ من باب غرفة السجن اللواء الركن عمر علي وطلب منا تقديم استرحام إلى عبد الكريم قاسم لتخفيض الحكم، وحضر أحد الحراس وسلمني ورقة من أخي شريف الذي كان واقفاً أمام باب السجن عند إدخالنا إليه، وقد شاهد محاولة إيذائنا، وتألمت كثيراً لوجوده وعلمت مقدار تضحيته ووقوفه بين الوحوش متستراً وقد كتبت له رسالة طلبت فيها تأمين سرير منام ولحاف وبطانيات وبعض الأشياء

الأخرى مع نسخة من المصحف الشريف وبعد فترة وجيزة كانت هذه الأشياء عندي ودعوت الله له بالموفقية وأن يسهل لي لقاءه.. بعد أيام حضر الحلاق ودعينا واحداً واحداً لنجلس بين يديه ويحلق شعر رؤوسنا بالماكنة ما يسمونه بالنمرة صفر، وكانت تعليقات الحلاق غير مؤذية، وكانت الغرفة التي سجنّا فيها تتسع إلى ستة عشر شخصاً مع أسرّتهم ومبنية من الطابوق ومسقفة بأعمدة من الخشب فوقه الحصران وفي السقف فتحة صغيرة يطل منها الحراس علينا، وباب الغرفة من القضبان الحديدية مع قفل لا يفتح إلا لمدة بين عشرة - خمسة عشر دقيقة عصر كل يوم، وعند الباب إناء للإدرار، وتنتشر حشرات الأرضة في سقوف وجدران الغرفة، وكان الفصل حاراً وعند خروجنا من الغرفة إلى ساحة السجن كنا نسير بخطى سريعة لتنشيط أجسامنا من طول الجلوس، وكان الطعام يأتينا في ثلاث وجبات منتظمة من متعهد (مطعم تاجران) وعلى نفقة الدولة[1]، وكنا في السجن نشعر بالحرية والتصرف أكثر بكثير مما كنا في موقف الدبابات أو الهندسة، وكلفنا آمر الحرس بشراء مراوح كهربائية للتخفيف عنا من شدة الحر فنفذ لنا ذلك.

كان أكثر حديثنا داخل الغرف عن أسباب فشل الثورة وعن التعذيب، وكان التفاؤل بعدم تنفيذ الحكم بالإعدام متغلباً، وبجوار غرفتنا رجال العهد الملكي من وزراء ورؤساء وزراء وقادة الجيش كلهم قد حكم عليهم بالإعدام وكانت معنوياتهم عالية تشجع على الصمود، كما كان في غرفة أخرى السيد رشيد عالي الكيلاني وزميلان له، وفي غرفة أخرى كان هناك فرنسيّ معتقل لوحده، قيل إنه من رجال المال كان يدير أحد البنوك. وفي أثناء فتح الأبواب

(١) ولكن وزير المالية محمد حديد منع عنا الطعام عن طريق المتعهد وأصر على تناولنا إياه أسوة بالسجناء المجرمين، وخصص المبالغ الباقية لهذا الغرض إلى منظمة نساء الجمهورية، قرأنا ذلك في الصحف، وبعدها خصص لنا من يجلب مواد الإعاشة كل صباح عند توزيعها في السجن المجاور ممّا اضطرنا إلى تأمين أجهزة الطبخ وأواني الطعام، وتسابق الشباب في تهيئة الطعام ونجحوا. ولما شعر أهل المسجونين بذلك جلبوا ما لذ وطاب حتى ضاق المكان.

عصراً نلتقي مع بعضنا ونسير سوياً ونسمع منهم بعض الاستنتاجات، وكلها مشجعة لنا، وسيأتي الحديث عن كل منهم في مكان آخر. لم نكن مرتاحين من تصرفات السجانين وطمعهم، وجرى استبدالهم بمراتب من الانضباط العسكري فتبدلت الأوضاع داخل السجن تماماً إلى الأحسن، وكان فيهم عدد من ضباط الصف يتصفون برقي في الأخلاق والتصرف مما يندر وجوده، وقد نالوا احترامنا ومحبتنا الحقيقية ومنعوا قدر استطاعتهم عنا كل أذى، وأمَّنوا لنا احتياجاتنا، ولما سمح لنا بمواجهة ذوينا كانوا يعدّون لنا المكان مع الكراسي اللازمة للجلوس ويبدون كل احترام لنا ولأهلينا، ومرة تحدثت مع أحد الجنود فبادرني القول بأنكم في محنة وأسأل الله أن تكون عاقبتها نعمة، ولما طال الحديث بيننا ظهر لي أنه يتمتع بثقافة دينية جيدة، والذي لاحظته منذ بداية اعتقالنا أن الذي يؤمن بالله ويخافه سواء كان جندياً أو ضابطاً أو مدنياً كان تصرفه أرقى بكثير من غيرهم، وكانت علاقتهم مع المسجونين بحدود الواجب إلا أنها تشعرك بالاطمئنان، فهم لا يتعصبون لبشر أو رئيس أو زعيم ولا يعتدون ويذكرون الله دوماً، وعلى العكس تماماً أولئك الملحدون من الشيوعيين وغيرهم هدفهم فقط إهانة البشر ملأهم غرورهم فظنوا أنهم مخلدون في الأرض، وراحوا يكيلون العذاب والإهانات إلى من لا يؤمن بعقيدتهم، ويتخذون من قتل الإنسان وسحله والتمثيل بجثته وسيلة لإشباع رغباتهم، ومثل ذلك آمر المعتقل عبد الرزاق قصيبة ظن نفسه أنه المتصرف بشؤون السجن يجلس في غرفته يشرب الخمر ويسكر على ذكر التعذيب والإيذاء تصحبه زوجته الشيوعية حياة النهر، وفي منتصف الليل يصحبها للطواف على المسجونين ولم يعجبها إلا غازي الداغستاني، وتطوف قرب غرف السجن وهي سافرة قد أخذت زينتها وزوجها معها يكثر من التعليق السخيف ولما شاهدا المقدم الركن علي توفيق يصلي قال له: كان عليك أن تخاف الشعب قبل الله لأنّ الشعب كل شيء، وقد تأذى منه علي توفيق ودعا عليه، وبعد أيام تغيّر موقف الزعيم عبد الكريم قاسم من الشيوعيين ومال إلى تحديد نشاطهم، فما كان من آمر المعتقل بعد أن أخذه الخمر إلا إنزال صورة عبد الكريم قاسم

وتفوّه بكلمات مما جعل الجنود المحيطين به يربطونه بالحبال ويسحلونه إلى باب السجن ورأسه في الأرض ويصيح بكل ما أوتي من قوة (الخاطر الله) ولما وصل خبره إلى عبد الكريم قاسم طرده من منصبه وعينه في إحدى سرايا الشمال. ومثل آخر لضابط برتبة ملازم دخل غرفة رشيد عالي الكيلاني ووجده يقرأ بالمصحف الشريف، وكان الضابط يحمل بيده عصا للتبختر فضرب المصحف الشريف بها ورمى به إلى جدار الغرفة مما جعل الكيلاني المحكوم عليه بالإعدام أن يرفع طرفه إلى السماء ويدعو على هذا الضابط المستهتر، وبعد أيام علمت أن هذا الضابط السيىء دخل المستشفى وقد أصيب بمرض عصبي إذا لمسه أحد يصرخ كالمذعور، ولما أخبرت السيد الكيلاني بذلك قال: إنه جاهل ولمست منه مقدار تأثره من تصرفه الأرعن.

وفي يوم لاحظت تشديد الحراسات في المعتقل وخاصة على الجدار الذي يفصل بيننا وبين السجن الاعتيادي والذي كنا نتلقى منه الزجاجات الفارغة والأحجار وقطع الحديد يقذف بها المجرمون علينا، وعلمنا بعد السؤال عن السبب أن المسؤولين في السجن كشفوا عن مؤامرة مدبرة للهجوم علينا وإيذائنا ولما سمع اللواء عمر علي بذلك أعدّ خطة للدفاع عن أنفسنا وطلب الاحتفاظ بالزجاجات الفارغة لاستخدامها عند الحاجة إلا أن يقظة حراس السجن حالت دون تنفيذ هذه المؤامرة.

كانت مكبرات الصوت من راديو السجن الكبير تصل إلينا وتزعجنا لارتفاع الصوت، وعلا صوت المهداوي مرة أخرى عندما باشر في محاكمة ضباط الفوج الثالث للواء الخامس بنفس التهمة التي حوكمنا من أجلها وصدرت الأحكام كالعادة من رئيس فما فوق إعدام وما دون ذلك سجن مؤبد، وأعلن المهداوي أن هذه آخر وجبة محاكمات، وسيق الضباط المحكومون إلى نفس السجن الذي نحن فيه، وعلمنا منهم أن الأوضاع أحسن من السابق وسيطرة الشيوعيين باشرت بالتراخي وقد أطلق سراح عدد كبير من الضباط، وأن المواجهات لبقية المعتقلين تجري حسب الأنظمة والتعليمات وليس هناك اضطهاد، وكانت هذه الأخبار تباشير خير لنا جميعاً، وفجأة حدثت مذبحة

كركوك المؤلمة التي ذهب ضحيتها الأبرياء من غير الشيوعيين حتى الأطفال، وكانت أخبار هذه المأساة تأتينا باستمرار وكان اللواء الركن عمر علي وهو من أهالي كركوك هائجاً كالأسد يعلن ألمه وأسفه، وحدثنا أن جماعة من المتضررين في كركوك أحضروا أمام عبد الكريم قاسم رؤوس أطفال حزّها الشيوعيون ليراها بنفسه ليقدر عظم المأساة، وفعلاً أعلن في إحدى الكنائس وهو يخطب فيها مهاجمته للشيوعيين ورفضه لأساليبهم، وكان هذا إيذاناً لغير الشيوعيين بالتحرك ضدهم، وظهرت الصحف القومية والإسلامية تهاجم وتفضح الشيوعيين وما فعلوه طيلة فترة سيطرتهم، وتحسنت المعاملات داخل السجن، وأطلق سراح جميع الموقوفين إلا عدد قليل منهم، وكذلك العسكريين، وباشرت الصحف تصل إلينا فنرتاح لما فيها، وبعد مدة وجيزة قرأنا أن المهداوي أعلن للصحفيين بأنّ محكمته ستباشر مرة أخرى لمحاكمة من تبقى من المتهمين لثورة الموصل وهم جماعة نافع داود، ثم جماعة الطبقجلي، وتألمنا لذلك وعللنا هذا الموقف بعودة عبد الكريم قاسم للاستمرار في غيه وللتخلص ممن اتهمهم بالرؤوس المدبرة لثورة الموصل، وفعلاً تمّت المحاكمتين، وحكم بالإعدام على عدد كبير منهم وبالسجن للآخرين، وأطلق سراح قسم منهم وفيهم مدني هو السيد عبد الباسط يونس[١] صاحب جريدة الهدف في الموصل. والملاحظ أن المحكمتين الأخيرتين

---

(١) الصحفي عبد الباسط يونس كان معي في الإعدادية وفي نفس الصف الذي كنت فيه أديباً وخطيباً ترأس الإضرابات والمظاهرات للطلاب عام ١٩٤٨ عند تقسيم فلسطين وألقى الخطب الحماسية وكان لها تأثير كبير على الطلاب ولم يكن ينتمي إلى فئة حزبية. قدم إلى مجلس انضباط المدرسة بتهمة التحريض على الإضرابات وعدم إطاعته معاون مدير المدرسة وكنت متهماً معه، وحكم عليه المجلس بالطرد من المدرسة وحكم عليَّ بالطرد خمسة عشر يوماً فقط عدت بعدها إلى المدرسة، ولم يتمكن عبد الباسط من العودة وبقي يمارس مهنة الصحافة وله رغبة في جمع الكتب وعنده أكبر مكتبة شخصية في الموصل، أيّد ثورة الموصل بشدة وفرح وحضر إلى الإذاعة وألقى البيان الأول من الإذاعة المحلية في الغزلاني.

تختلفان عن غيرهما بما قام به المتهمون من فضح أساليب التعذيب مع ذكر أسماء كل من عذبهم أثناء مرافعاتهم وكانت هذه أكبر صفعة للشيوعيين ولنظام الحكم حيث كانت تنقل بواسطة الإذاعة ليسمعها المواطنون داخل العراق وخارجه مما هوى بمحكمة المهداوي إلى الحضيض.

عند مجيء المحكومين من الفوج الثالث وجماعة نافع داود إلى السجن نقلنا معهم وخصصت لنا قاعتان كبيرتان وكنا نقوم بخدمة الشهيد نافع داود الذي كان قد فقد بصره نهائياً، وأثناء حديثي معه عند قيامي بتقليم أظفاره سألته عن توقيت الثورة ومن الذي أصدره فقال: إنه كان قد ذهب إلى بغداد قبل يومين من الثورة واستلم موافقة السيد رفعت الحاج سري على موعد التنفيذ وهو يوم ١٩٥٩/٣/٨ وبلغ ذلك الشواف عند عودته، وكان نافع رابط الجأش هادئاً في حديثه، وبعد أيام دخل الانضباط علينا وقرأ أسماء نافع داود وجماعته واقتيدوا إلى خارج القلعة، وعلمنا في اليوم الثاني أنهم قد أعدموا في ساحة أم الطبول فحزنّا حزنًا عميقاً عليهم، وبعدها حضر ناظم الطبقجلي وجماعته إلى نفس القاعة التي نحن فيها وكانوا كالأبطال لا تظهر عليهم أي علائم للارتباك، بل كانوا من الصمود والثبات ما يضرب به المثل، وقد سرت سوياً في فناء القاعة مع الطبقجلي وقال لي لما سمع في بعض الصحف مهاجمة الإسلام والمسلمين قال: إن الدين الإسلامي صخرة صلبة كل من يرتطم بها يتحطم، وكان يهاجم الشيوعيين. ثم سألته فيما إذا كان عبد الكريم قاسم سيقوم بتنفيذ الإعدام فيما تبقى من الضباط قال: إنه إن فعل ذلك فسيقضي على نفسه وسوف لا يبقى أكثر من أسبوعين بعد التنفيذ. وكان عبد الكريم قد أرسل إليه لمواجهته فقال بأنه إذا تمكن فسيقوم بخنقه في غرفته إلا أن الحرس لم يفتحوا جامعة اليد وبقي مكبلاً في أثناء المواجهة. (كما أسلفت).

وسمعت من الشهيد رفعت وهو منظم الثورة وقائدها والذي كان أقرب الناس إلى عبد الكريم قاسم وكان القضاء على عبد الكريم قاسم لا يحتاج إلا الدخول عليه وإنهائه، وكان رفعت ورجال الاستخبارات لا يمنعون من الدخول على عبد الكريم قاسم في أي وقت سألته لماذا لم يتم التنفيذ فكان جوابه إنه لم يكن يتصور انهيار ثورة الموصل بهذه السرعة.

وفي اليوم الثاني من مجيء ناظم الطبقجلي وجماعته وعند المساء شاهدت عدداً كبيراً من الحراس يحيطون بالقاعة في السطوح وعلى الأبواب وأن شيئاً غير عادي قد حدث، ثم دخل عبد الكريم الجدة آمر الانضباط العسكري، وقد سمعته يتمتم بكلمات لا حول ولا قوة إلا بالله ويذكر الشواف بسوء على ما صنع، ويردد ذلك عدة مرات، ثم حضر أحد العسكريين يتلو أسماء سبعة من الضباط المحكومين بالإعدام كنت أحدهم، ولما كان هذا الأسلوب هو نفسه الذي اتبع مع جماعة نافع داود لم يكن هنالك شك عند أحد منا بأنّ هؤلاء السبعة سيلقون نفس المصير الذي لقيه نافع وجماعته فأحاط بنا إخواننا من كل جانب وكانت قبلات التوديع والمصافحة باليد، وضم أحدنا إلى الآخر والتأثر والحزن والبكاء من الذين لم تُقرأ أسماؤهم وخاصة إسماعيل هرمز، وسمعنا من كل منهم بأنهم سيثأرون لنا بعون الله، وكان موقفاً صعباً ومؤلماً يندر حدوثه، ثم طلب منا السير وراء أحد الضباط والحرس يحيط بنا من كل جانب، ودخلنا إلى قلعة أخرى ثم إلى غرفة وقفل علينا الباب، وتركنا على هذه الحال ساعات ننتظر وصول الأهل لتوديعهم الوداع الأخير، وكانت هذه عادات السجن في العراق، ولكن لم يحضر أحد والهدوء قد عم كل شيء حتى لم نعد نسمع أي حركة، وفجأة سمعنا صراخ النساء وعويلهم واعتقدنا أن أهلينا قد حضروا، ويا له من موقف صعب، وحضر أحد الجنود وسلم العقيد يوسف كشمولة رسالة من الشهيد علي توفيق، فإذا بالموقف يتغير وإذا المقصودون لتنفيذ الحكم هم الذين بقوا في القلعة السابقة ولسنا نحن، على عكس ما تصورنا، وكانت رسالة الشهيد علي توفيق مؤثرة فهو يقول فيها إنه يقضي أهدأ ليلة في حياته ويوصي قريبه يوسف كشمولة بأولاده وزوجته، وبقينا تلك الليلة يقظين متألمين من هذا الوضع المأساوي، وعند طلوع النهار مرّ من أمام باب الغرفة الشهيد البطل عزيز أحمد شهاب تحدث إلينا وسلم علينا كما أسلفت، ثم سمعنا هتافات الله أكبر يطلقها الذين سيقوا إلى ساحة الإعدام يقابلها هتافات الشيوعيين المتجمعين أمام باب السجن بعباراتهم المعهودة خونة... الخ. وبعدها هدأ الموقف ومرت عدة ساعات عاد

الانضباط للمسؤولين عن حماية السجن والذين صاحبوا الشهداء عادوا وأعينهم قد تورمت من البكاء وتحدثوا عما شاهدوه وسمعوه ومعهم آمر المعتقل آنذاك الرئيس محمد علي عبد اللطيف الذي قال لنا بأن الثأر لهم سيتم قريباً وطلب منا إرسال برقيات إلى أهلينا حيث خفض الحكم عنا إلى خمسة عشر سنة سجن فأرسلناها، وفي اليوم الثاني حضر والدي لمواجهتي وتحدث عن الوضع في الموصل، وأنها لم تنم تلك الليلة، وأن الناس في حزن وألم عظيمين على ما حدث وانتهت هذه المجزرة الوحشية التي نفذها عبد الكريم قاسم، وكانت السبب الرئيسي للإطاحة به وكان أولها محاولة الاغتيال يوم ٣ تشرين أول ١٩٥٩ أي بمدة أقل مما حدده الشهيد الطبقجلي بيومين، وكانت حصيلة هذه المحكمة الصورية الحكم على تسعة وعشرين ضابطاً بالإعدام وسبعة وعشرين ضابطاً بالأشغال المؤبدة وتبرئة ساحة ثمانية عشر ضابطاً ومدني ولقد نفذ الحكم على ثلاثة وجبات في ٥ نيسان ١٩٥٩ نفذ الحكم في كل من عقيد الجو عبد الله ناجي والرئيس الطيار قاسم العزاوي والملازم الأول الطيار أحمد مهدي عاشور والملازم الطيار فاضل ناصر وفي ٢٥ آب ١٩٥٩ تّم تنفيذ حكم الإعدام في الرئيس الركن نافع داود والرئيس محمد أمين عبد القادر والملازم سالم حسين والملازم محسن العمري والملازم مظفر صالح والمدني فاضل حمادي الشكرة وفي يوم ٢٠ أيلول ١٩٥٩ تم تنفيذ حكم الإعدام في كل من الزعيم الركن ناظم الطبقجلي والعقيد رفعت الحاج سري والمقدم الركن عزيز أحمد شهاب والرئيس داود سيد خليل والعقيد خليل سلمان والرئيس الأول توفيق يحيى آغا والرئيس يحيى حسين الحماوي والمقدم علي توفيق والرئيس هاشم الدبوني والملازم الأول حازم خطاب والمقدم إسماعيل هرمز والرئيس الأول مجيد الجلبي والرئيس زكريا طه نسأل الله لهم الرحمة الواسعة. أما الذين بقوا في السجن من الذين خفض الحكم بالإعدام عنهم والمسجونون، فسيأتي الحديث عنهم في الصفحات التالية.

تغيرت الأوضاع وانحصر المد الشيوعي، وقضينا أيامنا في السجن في حياة منظمة وعلى وتيرة واحدة، وكانت النقاشات مستمرة حول أسباب فشل

ثورة الموصل ولم تنتهِ لحين خروجنا وقد صمنا رمضان ثلاث مرات وصمنا تطوعاً عدة أشهر أخرى، وكان كل ما نطلبه يصل إلينا وخاصة الكتب حيث أصبح عندنا منها مكتبة صغيرة وقضيت معظم أوقاتي بقراءة الكتب وحفظ آيات من القرآن الكريم، وقد حفظت منه خمسة عشر جزءاً كما كانت المواجهات لنا مستمرة وتصلنا مساعدات مالية لتمشية أمورنا. كان والدي يحضر لمواجهتي كل عدة أشهر ويواجه قبل المجيء عندي صديقه الشيخ أحمد الإبراهيم من أهالي البصرة ومن أغنيائها، وصادف أن كان والدي والشيخ إبراهيم مع إخوان لهما في ضيافة صديق لهم من عشيرة البو امتيوت في البعاج قرب سنجار يوم ١٤/ تموز/١٩٥٨ ولما سمعوا بنبأ الثورة أرادوا العودة إلى الموصل فقال لهم الشيخ إبراهيم كيف فرحتم بما تذيعه إذاعة بغداد عن السحل والقتل وأنتم مسلمون فلم يصغوا إليه، وعاد أكثرهم ومنهم والدي إلى الموصل، وكان كلما زاره والدي في بيته في بغداد يحدث أنه ترك بلده البصرة أيام المد الشيوعي ويقول لوالدي هل تذكر تأييدكم للسحل والقتل يوم ١٤/ تموز[1]، ولشراء الكتب وغيرها كنا نعتقد أنها واردة من مصر ولا يتعدى المبلغ المستلم لكل واحد - من الذين لم يكن لديهم تقاعد - طوال مدة السجن البالغة ثلاث سنين تقريباً عن (٢٥٠) ديناراً، ولم يكن يصرف شيء للذين لديهم تقاعد بالإضافة إلى السيد الصيدلي أمين كركجي فإنه لم يستلم أي شيء برغبته رغم أن أمواله كانت مجمدة وهو متزوج وله أطفال، وكان المقدم كامل الدبوني كريماً يصرف من راتبه التقاعدي على المحتاجين، وكان يكلف زوجته وأخاه إبراهيم بإحضار وجبتين من الطعام كل أسبوع من بيته عدا ما يجلبه من مواد عينية، وكان هذا العمل غاية من الكرم والسخاء خاصة، وقد

(١) كان والدي يصبر على كلامه وفي إحدى المرات أجابه والدي ألا يكفي يا شيخ العتاب وقد علمت ما حل بنا وببلدنا من عقاب؟ فلم يكن الشيخ إبراهيم راضياً عن الثورة. ولقد زرته يوم خروجي من السجن وقال لي إن الله سبحانه وتعالى أنقذك من الموت لبرِّك بوالديك فاتّق الله. وقال إنه هجر البصرة لصدور قانون يمكن الفلاح من توقيف الملاك لأيّ ادعاء.

كان المقدم كامل في ظروف مالية صعبة، ولا يملك غير تقاعده إضافة إلى الجهد الذي كانت زوجته تقوم به من تأمين الطعام والمواد وشراء الاحتياجات وإدارة أطفالها الصغار، مما جعلها في مصافّ المجاهدات المؤمنات، وقد كان لنبأ وفاتها بعد خروجنا من السجن بفترة قصيرة أثرها العميق فينا لأنها كانت الأخت والأم الحنون لجميع من كان في السجن رحمها الله رحمة واسعة، ولم نشعر طوال مكوثنا في السجن بحاجة إلى شيء، وقد كان جميع الأهل والإخوان والأصدقاء يحضرون إلينا محملين بكل ما نحتاجه، وعلمت أن كثيراً من الأسر كانت تقترض المال لتحمل إلى ولدها أو أخيها المسجون ما يحتاجه جزاهم الله خيراً. وقضينا في السجن ثلاث سنين تقريباً خرجنا بعدها بعفو عام شمل جميع المسجونين في العراق، وعدنا إلى بلدنا وأهلينا وإلى الحياة مرة أخرى، ولا بد لي أن أسجل بعض الملحوظات والانطباعات عمن قضينا معهم هذه المدة من عسكريين ومدنيين، وقبل ذلك أذكر أنه لم يحدث من حوادث مهمة خلال السنين الثلاث إلا محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم فجيء بالمتهمين وتم اعتقالهم في القلعة التي كنا فيها فتعرفنا على قسم منهم، وكانوا يخشون السوق إلى المحكمة حيث سبقهم إياد ثابت وجماعته، ولكن عبد الكريم قاسم عفا عنهم وأطلق سراحهم. والحدث الثاني هو انفصال سوريا عن مصر ذلك الحدث الذي أبكى الكثير من المسجونين واعتبروه ضربة للوحدة العربية ولكن هذا الحدث كان السبب الرئيسي في إطلاق سراح المسجونين.

بعد انفصال سوريا من الوحدة مع مصر قام عبد الكريم قاسم بإطلاق سراح كبار الضباط ولم يبق في السجن إلا ضباط الموصل وبعض المدنيين، فطلب مني بعض إخواني تكليف والدي لمواجهة عبد السلام عارف لما بينهما من صلات وثيقة، والطلب منه مفاتحة عبد الكريم قاسم بوضعنا، فرجوت والدي الحضور لمواجهتي، وكلفته بذلك وتمت ملاقاة عبد السلام ووعده خيراً وتحدث معه عن أطوار قاسم وكيف أنه في كل مرة يزوره يلاقي أشد الترحيب ويجلسه على كرسي مكتبه الخاص ويجلس هو على حافة المنضدة

ويكثر الحديث معه عما قدمه من خدمات وتوسيع لمدينة بغداد. وأثناء حديث والدي مع عبد السلام عن الأوضاع العامة قال: اصبروا عليّ سنة. ومنذ ذلك الوقت اتضح لي بأن عبد السلام يعدّ العدة للإطاحة بعبد الكريم قاسم، وقد فعل.

ولا أنسى الشيخ حبيب الخيزران الذي كان موقوفاً معنا، والغريب أن عبد الكريم قاسم هاجمه في إحدى خطبه هجوماً عنيفاً وأرسل إليه ليلة من الليالي فخفنا أن يقضي عليه، ولكنه عاد وتغيّرت الأحوال بالنسبة له وأصبح صديقاً لعبد الكريم قاسم، وكان يقول لنا إن هذه البناية (المعتقل الذي نحن فيه) سبق ودخلها عدة مرات كان أولها عام ١٩٢٠ معتقلاً بعد انتهاء ثورة العشرين وقال: إن عبد الكريم قاسم سأله لماذا لا يتزوج في عهد الجمهورية فقال له: «هي الجمهورية خلّت أحد عنده حركة» فضحك عبد الكريم قاسم كثيراً.

نعود إلى ذكر بعض الأحداث التي شاهدناها في السجن والشخصيات السياسية من رؤساء وزراء إلى وزراء إلى قادة جيش أيام العهد الملكي كانوا معنا في السجن وهم:

رشيد عالي الكيلاني

رجل مربوع القامة ضعيف البنية أبيض اللون يناهز السبعين من العمر تظهر عليه علائم الكبر وعلائم المرض ويشكو من معدته وكبده، له نظرات حادة، وشخصيته تطغى هتفت باسمه عام ١٩٤١ عند قيام ثورته واستيلائه على السلطة وقتال الانكليز له، وحدثته عما رأيته في الموصل في شهر الثورة، وحدثته عن الغارة الجوية التي ذهب ضحيتها سبعون شخصاً بين جريح وقتيل في غارة واحدة في إحدى مقاهي رأس الجادة فأبدى أسفه لذلك، ووعدني بزيارة الموصل إن أمكنه ذلك وقال: إنه لم يكن بالشخص الجاهل حتى يقاتل الإنكليز والعراق بلد ضعيف وإنكلترا في حالة حرب، ولكنه أراد استغلال ظروف خاصة لمصلحة البلد وكان عليه لأجل نجاح خطّته احتلال الحبانية حيث معسكر الإنكليز المهم فأرسلت - والكلام للسيد الكيلاني - على القواد الأربعة العسكريين وأخبرتهم بأنّ سرعة احتلال الحبانية سيجعل أمر الحصول على مطالبنا سهلاً جداً فهل تستطيعون ذلك؟ فقال أحدهم - وذكر اسمه - إذا أردت أن نحتل لندن فعلنا ذلك، فقلت له: لا أريد إلا الحبانية. ومضى شهر ولم يتم احتلالها، وبعدها اتصل بي القادة العسكريون من بعقوبة هاتفياً قائلين إنهم هربوا واستصحبوا معهم خزينة الدولة، وقلت لهم: هربتم لا بأس ولكن تسرقون خزينة الدولة وتجعلوننا لصوصاً هذا لا أوافق عليه. انتظروني فأنا قادم إليكم. ولما وصلت بعقوبة سلمت خزانة الدولة إلى السيد السبعاوي لإعادتها، واتجهت إلى إيران ثم إلى تركيا ثم إلى ألمانيا بمساعدة السلطات الألمانية. وعاش السيد الكيلاني مكرَّماً وضيفاً على هتلر الذي كان يرسل عليه بين فترة وأخرى للتحدث معه، ومرة أرسل إليه وهو في إحدى جبهات روسيا،

وركب القطار الخاص ووصل مقرّ هتلر ووجده مقرًّا بسيطاً ويحوي على كرسي سفرة ومنضدة تطوى، وقال له هتلر: المعذرة فنحن العسكريين لا نستخدم في الحرب إلا هذه الأشياء البسيطة، وفي أثناء الحديث معه كان يسألني دوماً وفي كل مرة ألتقيه: كيف استطاع بلد مثل العراق الوقوف أمام الانكليز شهراً. ويقول السيد الكيلاني واصفاً هتلر الذي هز العالم ويخافه الكثير بأنه رجلٌ حييٌّ قلما يرفع طرفه إليك أثناء الحديث إلا قليلاً. وقبل أن تستسلم ألمانيا أرسل إليه في القبو الذي اتخذه مقراً له فشاهد أصدقاءه وأقاربه، ومن بينهم عشيقته والكلّ في بكاء وعويل وتأثر شديد، وكان هتلر أمر بحضورهم جميعاً والسيد الكيلاني منهم ليودعهم قبل انتحاره، وأصدر أوامره بحرق جثته بعد الانتحار، وخرج عليهم في كامل قواه كأنه ذاهب إلى حفلة عرسه يقف عند كل واحد منهم يودعه، ولما وصل إلى السيد الكيلاني - والحديث للسيد الكيلاني قال - فسلّم عليَّ وقال لي لقد أردت أن أخدم ألمانيا ولكن الله لم يوفقني، ولقد أضمرت خيراً كثيراً للعراق، وكنت أريد أن أعطيهم بعض المستعمرات لوقوفهم بجانب ألمانيا، ورجاني إبلاغ تحياته وتقديره للعراقيين جميعاً، وأمر أحد القادة العسكريين بتهيئة طائرة خاصة تنقلني إلى أي جهة أو بلد أريد في العالم، وبعد أن انتهى من توديع كافة الحاضرين خرج. وعلمنا بنبأ انتحاره وسمعنا أن جثته أحرقت، وبعد قليل حضر إليَّ أحد الضباط الألمان وقال لي: إننا حاضرون لتنفيذ أمر الفهرر، وطلبت منه طيارة تنقلني إلى جدة أو الرياض مباشرة دون النزول في أي مطار فذهب ذلك الضابط وعاد إليَّ معتذراً عن تنفيذ الطلب لعدم إمكان الطائرات الوصول إلى جدة دون النزول في بيروت أو القاهرة للتزود بالوقود فرفضت ذلك، وأبدى أسفه لعدم تمكنه، وأمر أحد الضباط بمرافقتي لحين مغادرتي الحدود الألمانية.

واحتلّت القوات الروسية الجزء الذي كان مقيماً فيه السيد الكيلاني وشاهد بنفسه أفعال الجنود الروس، وما قاموا به من أفعال مخزية، وقصَّ علينا أن جنوداً روسيين تعرضوا لفتاة ألمانية في حافلة (باص) وطلبوا منها مرافقتهم بالقوة، ولكنها رمت بنفسها من الحافلة في أول فرصة سنحت لها،

وحدثنا عن المجاعة في الجزء الذي احتلته روسيا، وكيف أنه اختبأ في إحدى الدور بمساعدة ربة الدار وخصصت له تحت الدرج مكاناً لينام فيه وعطفت عليه، وكانت تقدم له كسراً من الخبز وبيضة تقطعها من رزق أطفالها، وكانت هذه قوته لأيام، وقال إنه بمساعدة شخصين من المسلمين العرب - تمكن - بعد أن أعفى الضابط الألماني المرافق له من مهمته - من الخروج من الحدود الروسية إلى المنطقة الأمريكية، وذكر أن سائق السيارة الذي نقله إلى الحدود الأمريكية سأله ومن معه فيما إذا كانت أوراقهم كاملة أم لا فأجابوه بأنها كاملة ولم يقم بفحصها لثقته بهم، إلا أن الأوراق كانت ينقصها بعض الوثائق فلما وصلوا إلى الحدود الأمريكية الروسية وكانت تقع على شاطئ جدول، والشارع يعلوها والضابط الروسي جالس على كرسي بجانب الجدول وأمامه منضدة صغيرة خارج الخيمة، فاستلم السائق الأوراق وتفحصها فعلم بالنقص الموجود فقال لهم لماذا هذا الاعتداء عليَّ وأنا صاحب أطفال أنقذني الله من شر هذه الحرب وأنتم أوقعتموني بهذه الورطة التي عقابها عند الروس الموت. ولم يكن عند السائق حيلة للعودة من حيث أتى دون تقديم الأوراق، فأخذها وتوجه إلى نقطة السيطرة. يقول السيد رشيد عالي الكيلاني بأنه كان في غاية التأثر حيث كان هو السبب في ورطة هذا السائق قال: (انتابني ضيق عظيم وألم شديد والسائق في طريقه إلى نقطة السيطرة هنالك دعوت ربي متوجهاً إليه بذلّ وإخلاص أن ينقذ هذا السائق، وتلوت قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ وقلت: شاهت الوجوه، وأنا أشاهد السائق يضع الأوراق فوق المنضدة ويده ترتجف وهو خائف، وما إن سحب يده حتى هبت ريح عظيمة أطارت الخيمة وقلبت المنضدة وطارت الأوراق جميعها، وصاح بعدها الضابط موجهاً كلامه للسائق يا وجه النحس ابتعد واعبر الحدود لنتخلص من وجهك، وعاد السائق مهرولاً والفرح يملأ وجهه ومشاعره ويظهر ذلك على وجهه، وعبرنا الحدود ووصلنا المنطقة الأمريكية، فتبدل الحال وظهر الخير، ونقلنا إلى منطقة الغرباء في بلجيكا على أساس أننا طلاب علم، وبقينا هناك عدة أيام في رغد من العيش نقلنا بعدها إلى باخرة

لتوصلنا إلى بيروت، فاضطر السيد الكيلاني إلى تغيير معالم وجهه (مكياج) عندما قام المسؤولون بتصويرهم ووصل إلى بيروت، وانتقل منها إلى الشام، ودخل على شكري القوتلي الذي ساعده كثيراً في الوصول إلى السعودية وخصص له شخصين لمرافقته في السيارة التي أقلتهم إلى الحدود الأردنية وأثناء سيرهم داخل الأراضي الأردنية عثر عليهم حرس الحدود فادعوا أنهم تجار سوريون وأنهم أضاعوا الطريق، وأنهم خرجوا للصيد، فأعادهم الحرس إلى الحدود السورية - ويقول إن الملك عبد الله لو علم أن بين الذين عثر عليهم الحرس هو رشيد عالي لغضب على رئيس الحرس - وبعدها في الليل عادوا وعبروا الأراضي الأردنية ووصلوا إلى نقطة الحدود السعودية وأخبروا المسؤولين هناك بأنهم من الساسة السوريين وأنهم يرغبون مواجهة الملك عبد العزيز لأمر هام جدًّا، فأرسل المسؤول برقية إلى الرياض وجاء جوابها بالسماح لهم بالدخول فتحركوا متوجهين إلى الرياض بعد أن كتب المسؤول برقية أخرى إلى الرياض يخبرهم فيها عن ساعة الحركة، وكان يوم الخميس، ولما حضر آمر النقطة يوم السبت وجد أن البرقية لم ترسل وأنه نسيها فأرسلها فوراً وأخبرهم بأنه أخطأ ولم يرسل البرقية يوم الخميس ولما لم يكن السيد الكيلاني ورفيقاه قد وصلوا الرياض خرجت في الحال السيارات للتفتيش عليهم وبلطف الله عثر عليهم وكانوا على وشك الموت حيث إن سيارتهم تعطلت ونفد ماؤهم وأصبحوا بحالة يرثى لها، وباشرت قواهم بالضعف وأخذ منهم العطش، واسود كل شيء أمام أعينهم. يقول السيد الكيلاني: وذهبت في غيبوبة ولم أشعر إلا ونار تكوي شفتيّ فقد وضع الذين جاؤوا لإنقاذنا قطعة مبللة بالماء على شفتيّ وتمّ بحمد الله إنقاذنا ووصلنا الرياض ونزلنا في ضيافة الملك عبد العزيز آل سعود.

في صباح اليوم الثاني من وصولهم الرياض أراد الكيلاني مواجهة الملك عبد العزيز فعلم أنه يستعد للسفر إلى جدة، وأن جمعاً غفيراً من المودعين قد حضر، فطلب من طبيب سوري كان قد تعرف عليه في اليوم السابق وحاضراً التوديع أن يقربه من الملك ففعل، ولما وصل الكيلاني إلى جانب الملك

أمسك طرف كوفيته وقبلها وقال له بصوت واطئ: أنا رشيد عالي الكيلاني، وصدع كمن جاءه أمر عظيم، ولم يتكلم بشيء، وسافر إلى جدة ودخل الدار المخصّصة له وأرسل له عباءة ودشداشة وكوفية فقبلها. ولما عاد الملك من سفره حدثه الأمير سعود بأنّ والده بعد أن تركه أرسل برقية إلى ملك بريطانيا يخبره فيها بأنّ رشيد عالي الكيلاني لاجئ عنده، وأنه يعلم أن بريطانيا خرجت من الحرب منتصرة، وأنها تستطيع محاربته، ولكنه لا يستطيع تسليمه إليهم لأنّ ذلك مخالف للتقاليد العربية، ثم إن بريطانيا أثارت القضية في مجلس النواب الذي أصر على اعتباره مجرم حرب ويقتضي تسليمه، فزاد الأمر ارتباكاً مما حمل الأمير سعود لكتابة رسالة خاصة إلى ملك بريطانيا يشرح له فيها معنى اللجوء عند العرب، وكيف أن الشخص اللاجئ يقتضي الدفاع عنه ولو أدى ذلك إلى خسارة الملك وحتى الحياة، وبعدها أذاعت لندن أن قضية الكيلاني تخص العراق فطالب العراق بتسليمه فكتب إليهم الملك (للعراق) يرجوهم العفو عنه، ولكن أحداً لم يستجب، وبقي السيد الكيلاني بجانب ابن السعود وفي ضيافته يجالسه ويحادثه ويتحدث إليه ويشاوره ويشير عليه، وكان الملك يجلس وسط قاعة كبيرة على عرشه وعن يمينه أقاربه وعن يساره أعوانه يفصلهم عن العرش مسافة لا بأس بها وكان مجلس السيد رشيد قريباً منه وكان الملك كثيراً ما يغضب عليه لإبدائه رأياً مخالفاً له، ثم يعود إلى هدوئه، وكان يقول له: يا رشيد أنت دائماً تتكلم خلاف رأيي وبحضور جماعتي، فيجيبه إن المصلحة تقتضي ذلك فيسرّ منه. وطلب منه مرة الحديث عن الشيوعية فحدثه الشيء الكثير، ولما أنهى حديثه نهض الملك من على عرشه وسل سيفه ورفعه بيمينه وصاح بصوت جهوري قائلاً هل هناك شيوعي في بلدي فأقتله بسيفي هذا؟ ثم أرخى سيفه وتركه معلقاً برصفه ورفع يديه إلى السماء ودعا ربه إن كان مكتوباً عنده أن تكون بلاده شيوعية أن يقبضه ونساءه قبل ذلك، ويقول السيد الكيلاني عن الملك عبد العزيز: إنه اجتمع مع هتلر وموسليني وفيصل الأول وغازي وكثير من الملوك والرؤساء العرب والأجانب **إلا أنه لم يشاهد قط رجلاً يحمل صفات الرجولة الحقة مثل الملك عبد العزيز، وأعاد قولها مؤكداً ذلك**

عدّة مرات. ولما سألته عن الملك سعود قال: كان الأمل فيه كبيراً إلا أنه بعد اعتلائه العرش خابت الآمال وإنه اصطدم معه في مسائل ومع عبد الله فلبى كذلك الأمر الذي اضطره إلى الخروج من البلاد والتجائه إلى مصر في ضيافة الرئيس عبد الناصر وسألته عن نشر عبد الله فلبى في أحد كتبه بأنّ الأمريكان هم الذين أوصلوا السيد الكيلاني إلى السعودية قال: قرأت ذلك وكتبت رسالة إليه أعتب عليه هذا الدس فأجابه برسالة يعتذر منه ووعده بتصحيح ذلك إلا أنه لم يفعل، خرج الكيلاني من السعودية والتجأ إلى جمال عبد الناصر وتحدث عن كرمه واعتزازه به، وتحدث عن المبادئ التي نادى بها وعن الوحدة العربية وأنها الكفيلة لجلب احترام الدول الكبيرة لنا ومعاملتنا كدولة معظمة حفظاً لمصالحها وأنها السبيل لعودة اليهود من حيث أتوا، وسألته عن أسباب تبنيه القومية، والإسلام يرفضها قال: إن الدول الغربية تريد ذلك ولا تطمئن إلا بدعوى القومية ولأجله تبناها وتحدث عن الملك فيصل الأول وقال إنه ملك مخلص ويحب بلاده وكان يقول لنا لا تطلبوا مني تلبية حقوقكم وأنتم تعلمون أن بريطانيا نصبتني ملكاً، ولكن اعرضوا ذلك في الصحف وعلى لسان الناس والمظاهرات والاحتجاجات فسأكون الواسطة لتنفيذها، وقال عن الملك غازي: إنه شاب مندفع في وطنيته إلا إنه فاسق. وأما الوصي عبد الإله فقال إنه يكره الكيلانيين وأشرك معهم جماعة منهم لم تكن في السابق تشاركهم الواردات المعروفة باسمهم، وأضر بهم كثيراً، وقال عن نوري السعيد: إنه كان يعمل معهم ولكنه ينقل أخبارهم إلى الإنكليز.

وتحدّث عن ثورة الآثوريين وأنها من تدبير الإنكليز واضطر للقضاء عليها وقال: إنه الذي أسس كلية الحقوق وكان محاضراً فيها، ومرة تحدث إلى الطلاب عن المواضيع الوطنية وصادف أن عين رئيساً للوزراء فجاءه الطلاب يريدون تحقيق الأهداف التي درَّسهم إياها فقال لهم بالأمس كنت رجلاً غير مسؤول، واليوم فأنا رجل مسؤول، والذي يخالف النظام والقانون أطلب معاقبته، فضحك الجميع وكانت ممازحة منه، وقال لهم: إن المسؤولية شيء والمطالب شيء آخر، وكل مسؤول يتمنى تنفيذها ولكن الظروف التي تحيط به

والمشاكل التي ترافقها تضطره حرصاً على البلد للتريث في تنفيذها، ولكنها لا بد يوماً أن تتحقق طالما هناك مخلصون في البلد.

وتحدث عن عبد الكريم قاسم وكيف أنه كان في استقباله في مطار بغداد عند عودته إلى العراق، وركب بجانبه في السيارة والناس تهتف له وقال له عبد الكريم: أنا أيضاً أملك شعبية، فظنها نكتة خاصةً، وأن الضباط يميلون إلى المزاح في حديثهم، ولما جرت له حفلة تكريمية وحضرها قاسم وجلس إلى جانبه ولما انتهى من خطابه قال له قاسم أنا أيضاً أعرف أخطب. قال: فتملكني الخوف وذهبت أكيل المدح والثناء له وأنه سبب في عودتي إلى العراق، وأنه أبو الثورات إلا أن ذلك لم يفدني شيئاً فساقني إلى المحكمة المهداوية بتهمة التآمر ضده، والتي حكمت عليّ بالبراءة، فلم يعجبه ذلك فأمر بإعادة المحكمة وحكم علي بالموت وأنا الآن بانتظاره، وذكر أن المهداوي شاهده في ممر المحكمة بعد أن برأه فقبل يده واعتذر منه عن كلمات نابية صدرت منه، ولكنه عاد في المحكمة الثانية يشتم ويهين ويدعي العدالة. وقد طلب السيد الكيلاني تعيين محامي له في المحكمة الثانية كما أسلفت سابقاً.

وذكر أن سبب مرضه في معدته وكبده مشاركته السعوديين في أكلهم، وقد أثر ذلك فيه لكثرة الدهون، وذكر لي مرة أن لديه مذكرات في خمسة أجزاء محفوظة في يد أمينة وسألته هل له رغبة في العمل إن فرج الله عنه قال: أعمل حتى ألقاه. وسألته هل يمكن السيطرة على النفوذ الشيوعي؟ قال: أعطني السلطة وسترى. ولما علم بإعدام الشباب من جماعتنا وضع يديه على رأسه وتأسف كثيراً. وكان الاحترام متبادلاً بينه وبين الجميع وحتى من جماعة العهد الملكي، وقد أفرج عن السيد الكيلاني وواجه عبد الكريم قاسم بعد أن قضى ثلاث سنوات في السجن ولما خرج انزوى في بيته لمرضه ولم أسمع عنه إلا يوم وفاته رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

اللواء الركن عمر علي
قائد الفرقة الأولى

القائد الذي دحر اليهود في جنين في حرب ١٩٤٨ وأوقع فيهم الخسائر والذي دحر العصاة في معارك عديدة في شمال العراق، وتنسب إليه معارك بيريس وبوتين (جبال في شمال العراق) كان آمراً للفوج الثاني من اللواء الخامس في الموصل عام ١٩٤٨ ويعتبر من القادة المفكرين وأحد الذين لهم الفضل في تدريب الجيش العراقي وإعداده للقتال كان يضع التمارين ويمارس المعارك الوهمية، ويقود قطعاته في تمارين فعلية ليل نهار دون كلل أو ملل، له أسلوبه الخاص في التدريب والتعليم يمتاز بالصعوبة والتدقيق والتدخل في الشؤون الكبيرة والصغيرة حتى في مستوى الحضيرة، ويجمع الضباط ويلقي عليهم المحاضرات، ويطيل ذلك وربما استغرقت يوماً كاملاً ثم يأمرهم بقيادة قطعاتهم، ويقف على رأسهم ليرى مدى قدراتهم. كان من المقربين والمخلصين للبيت الملكي في العراق، عمل في محافظة السليمانية ونجح في توطيد الأمن فيها ومطاردة المجرمين وقاد الفرقة الأولى قبل ثورة ١٤ تموز وأكثر من التمارين وهيأها للقتال ودفعها في الصحراء تارة تهجم وتارة تدافع في كرّ وفرّ في الصيف والشتاء ينشىء لها الأهداف على غرار القوى المحصنة في فلسطين، كان محبوباً من الجنود وضباط الصف وخرَّج عدداً كبيراً من الضباط الذي امتازوا فيما بعد بالقيادة الجيدة رغم التعب والإنهاك الذي كان يصيبهم طيلة العمل معه.

اعتقله عبد الكريم قاسم بعد ثورة ١٤ تموز، وساقه إلى محكمة المهداوي وحكم عليه بالإعدام وأدخل سجن الموقف قرب باب المعظم في بغداد، وشاهدته والتقيت معه بعد فشل ثورة الموصل، وعند دخولنا السجن

ومرورنا من أمام غرفته كان يعرّفنا إلى رجالات وقادة العهد الملكي، ولما كنا نخرج من الزنزانة إلى ساحة السجن كان يطلب منا السير السريع والهرولة وكنا نمتثل لأمره ولم نكن نشعر تجاهه إلا شعود الجندي أمام قائده، ولما علم بوجود مؤامرة من قبل المسجونين المجرمين علينا وضع توصياته للدفاع عن أنفسنا إلا أن المؤامرة كشفت من قبل المسؤولين الذين اتخذوا الحيطة لذلك.

ولما زادت أوقات الخروج من الزنزانة كان يؤمنا بالصلاة ويتلو آيات الذكر الحكيم كأنها أوامر عسكرية. وكان يقول للضباط إنكم قتلتم ابن بنت رسول الله ويقصد الملك فيصل الثاني، ولما قيل له إن الضباط لم يكونوا كلهم مشتركين في الثورة قال: إن جميع الجيش مسؤول عن ذلك وكان يلقي علينا المحاضرات عن الشيوعية وأخطارها وضرورة مكافحتها، وكان ينتقد العقيد الشواف من أنه لم يأخذ احتياطه، وبقي في مقره لقمة سائغة لطائرات قاسم، وقال كان عليه أن يتخذ مقره في المستشفى الذي أنشأه الإنكليز عام ١٩٤٢ تحت الأرض قرب باب سنجار بالموصل، ويوزع قطعاته خارج المعسكرات ويبقي قوة ضاربة بيده يوجهها حيث يشاء، ويحافظ على النقاط الرئيسية في البلد بأقل قوة، فإذا حدث أن الموقف تغير في غير صالحه تمكن من الدفاع أو الانسحاب لأي جهة يريدها، وكان كلما شاهد الفريق الركن رفيق عارف رئيس أركان الجيش بالعهد الملكي والمحكوم معه يصفه بكلمات خشنة ويقول: إن الثوار وعدوه برئاسة الجمهورية ثم نكلوا به، وكان دائم السؤال عن أسر الموصل وعن الضباط الذين عملوا معه، ولما سمع عن مجزرة كركوك في تموز ١٩٥٩ هاج كالأسد، وكان يحظى باحترام الجميع حتى الحراس والسجانين، وكان يعتب على اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب الذي عمل معه رئيساً لأركان الفرقة في الديوانية يوم ١٤ تموز لإخفائه المعلومات عنه، وكان يحمل على عبد السلام عارف ويعتبره المسؤول الأول عمّا حدث أما عبد الكريم قاسم، فيصفه بأنه استثمر نجاح الثورة ودخل بغداد كما دخلها أي ضابط بعد الثورة، وذكر أنه قضى معه عدة أيام في خيمة واحدة في أحد تمارين الجيش في الجنوب والغرب قبل الثورة، ولم يسمع منه أي شيء غير الأمور العسكرية.

حدّث عن موقفه في ١٤ تموز ١٩٥٨ وأنا أسمع منه قال والكلام - لعمر علي -: في صبيحة ١٤ تموز كنت أقوم بتفتيش بعض الوحدات في الديوانية، ولما علمت بوقوع الثورة بعد حين جمعت بعض الوحدات وألقيت فيهم الخطابات وكنت عازماً على مقاومتها ولكن اتصال عبد الكريم قاسم بي شخصياً وقوله لي إن ما حدث حدث وطلب مني الحضور إلى بغداد لمساعدته لإدارة الموقف فقررت السفر إليها تصحبني زوجتي، ولما وصلنا إلى جسر الخر القريب من بغداد أوقفني عدد من الضباط والمراتب وانهالوا عليّ بالشتائم والضرب والإهانة وما أنقذني منهم إلا صياح زوجتي واستغاثتها وتذكيرها لهم وقولها بأنكم تعتدون على أبي جنين وبيرس وبوتين وتمكنت من تخليصي منهم، ولولاها لكان نصيبي القتل والسحل ثم وصلت وزارة الدفاع والتقيت مع عبد الكريم قاسم، وكان واقفاً في الشرفة المطلة على ساحة الوزارة الأمامية، فحدثته بما لقيته فبقي ساكتاً وكان العسكريون والمدنيون يحضرون بين حين وآخر جثثاً يقال عنها إنها جثة نوري السعيد ثم يتبين أنها غيره، فيقول لهم عبد الكريم قاسم: لم تفعلوا شيئاً. ثم حضر عبد السلام عارف فقال له اشطب اسم عمر علي من القائمة، فأخرج ورقة من جيبه وشطب اسمي ثم قلت لعبد الكريم قاسم: اعلم يا كريم إن أحد أسباب نجاح الثورة تأييد الأحزاب القومية والشيوعية والبارتية لها، وسيتفق اثنان منها ضد الثالث وتحدث المهاترات والخصومات، فإذا أبقيت الجيش بعيداً ولم تسمح للشارع بالسيطرة على الثورة كان ذلك من صالح العراق، وحذرته من الشيوعية وقلت له بأنها شرّ، بعدها شعرت بتغيره بعض الشيء ودخل إلى داخل البناية وحضر بعدها آمر الانضباط العسكري عبد الكريم الجدة، وطلب مني معتذراً أنه ينفذ الأوامر واستصحبني إلى مقر الهندسة في معسكر الرشيد، وأدخلت إحدى الغرف وأصبحت معتقلاً. بعدها بأيام دخل عليَّ عبد الكريم قاسم يحيط به الحرس شاهرين سلاحهم ويحمل هو رشاشة (استيرلنك) فنهضت إليه وأنا مرتدٍ البجامة والروب فقال لي (اشلونك ما تحتاج شيء) فقلت له كلا، ثم خرج فتبعته ويداي في جيوب الروب الذي ألبسه وصاح بي الحرس قف مكانك،

فقلت لهم: ممَّ تخافون وأنا بالبجامة والروب، وأخرجت يديّ فارغتين ليريانهما فقال لي عبد الكريم قاسم (شكو) فقلت له إياك والشيوعية فإنها شر، فقال (زين زين) ثم انصرف (انتهى حديث عمر علي).

بعدها سيق عمر علي إلى التحقيق ثم إلى المحكمة وحكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص، وكان من أحد أسباب الحكم عليه مطاردته المجرمين وقطاع الطرق في السليمانية الذين وصفهم المهداوي بالوطنيين، وبقي عمر علي في السجن قرابة ثلاث سنوات، ثم أفرج عنه، وفي أثناء سجنه مرض ولده بمرض يحتاج إلى معالجة خارج العراق، ولم يكن يملك الإمكانية المادية لإرساله، فأرسله عبد الكريم قاسم لبريطانيا على نفقة الدولة، وبعد خروجنا من السجن لم أسمع عنه شيئاً إلا ما حدثني به أخي من أنه كان سائراً بسيارته في ضواحي بغداد فشاهد عمر علي ينتظر باص الأمانة فأوقف سيارته وطلب منه الركوب فاستجاب، فلما علم أنه أخي سر بذلك كثيراً وذكر أنه لا يملك سيارة وأنه قليلاً ما يخرج. وفي عام ١٩٧٣ توجّه إلى الأردن يدفعه بذلك رؤية فلسطين وفي أثناء عودته شاهد قسم من الوحدات منتشرة ومعسكرة على الطريق، وشاهد إحداها فأعجبه نظام تعسكرها فنزل يريد أن يسلّم ويهنئ آمرها فوجده أحد الضباط الذين كانوا بإمرته فزاد اعتزازه بتلك الوحدة، وفي إحدى المرات وهو في طريق الأردن عائداً من بيروت انقلبت به السيارة وذهب ضحيتها في طريق فلسطين رحمه الله.

اللواء الركن
الحاج محمود شيت خطاب

من ضباط الجيش العراقي الممتازين، ومن مفكريهم، وصاحب المؤلفات العديدة في التاريخ العسكري والشخصيات الإسلامية، كان موقوفاً معنا في السجن قرب باب المعظم ببغداد، واستفدنا منه كثيراً، كان قد لقي الشيء الكثير من التعذيب وبقي صلباً، ولما أراد عبد الكريم قاسم (بعد حادثة محاولة قتله في شارع الرشيد والتي نجا منها بأعجوبة) إطلاق سراحه أرسل إليه يسترضيه وقال له الحاج محمود والتعذيب الذي لقيناه هل يذهب دون حساب؟ فقال له عبد الكريم قاسم - الزعيم ضربوه بأسلوب التعجب - ويقصد أن الاعتداء شمله رغم كونه زعيماً للعراق وطلب منه رؤية القميص الذي كان يرتديه عند رميه بالرصاص، وكان موضوعاً داخل خزانة من الزجاج للعرض تظهر عليه الثقوب العديدة. وللحاج محمود مكانة مرموقة لدى كافة الحكومات العربية والإسلامية ولدى مفكريهم وخاصة في المملكة العربية السعودية ومصر، وكان من أصدقاء والدي وممن يعتز بهم، **وكان أستاذاً للعقيد معمّر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر** عندما كان يدرس في بغداد العلوم العسكرية في العهد الملكي، وقد زاره الحاج محمود بعد توليه السلطة فذكر لي بأنّ حديثاً جرى بينه وبين القذافي حول قوة إسرائيل وأنها تعمل لإنشاء قوة نووية، وقال القذافي بأنّ بلاده لا تملك المقومات والدراسات في هذا المجال، وليس هناك من يستطيع ذلك غير مصر وكتب شيكاً بمبلغ كبير لتسليمه إلى جمال عبد الناصر بواسطة الحاج محمود للبدء بالعمل، ووصل الحاج محمود إلى رئيس تشريفات جمال عبد الناصر فدخل هذا يستأذن له بعد أن علم القصد الذي جاء من أجله، فرفض جمال عبد الناصر استلام المبلغ،

وقال له مدير التشريفات إن جمال عبد الناصر غضب عليه، ولم تحصل المواجهة، وأعيد الشك إلى القذافي، وقد كرر الحاج محمود زياراته للقذافي وكان يصفه بالبساطة في معيشته وتواضعه.

كما أن الحاج محمود شيت شرفني بزيارته لي في بداية عام ١٩٦٣ عندما كنت أعمل في أحد محالج القطن الأهلية بالموصل بعد خروجي من السجن، وقلت له: لقد مضى عدة أشهر على خروجنا من السجن ولم يحدث شيء إلا عبد الكريم قاسم فإن لم يكن لديكم أي عمل قريب فأرجو السماح لنا بالتحرك لذلك، فأوصاني بلزوم الهدوء والاستماع إلى إذاعة بغداد كل صباح، فعلمت أنهم يعدون العدة لذلك، وفعلاً تم ذلك يوم ١٤ رمضان. ولا زلت أحتفظ بكتاب تفسير ابن كثير الذي أهداني إياه بعد خروجه من التوقيف وكان خير مُسَلٍّ لي أيام السجن.

اللواء الركن رفيق عارف
رئيس أركان الجيش

رئيس أركان الجيش (لواء ركن) ذو الضحكة المشهورة بالقهقهة. في وقته دخلت إصلاحات كثيرة إلى الجيش، منها تعديل الرواتب وبناء الثكنات وتحسين الطعام والمنام للجندي، وتوسيع ملاك الجيش. سألته عن كيفية قيام ثورة ١٤ تموز قال: لأنّ الحرس خان (يقصد الجيش)، وسألته لماذا سمحت بدخول القطعات العسكرية إلى بغداد من غير مراقبة قال: ليست هذه أول مرة يدخل فيها الجيش حتى أراقبه وسألته عن عبد الكريم قاسم فقال: رجل فقير وطيب، وكنت أراعيه وسألته عن عبد السلام عارف، فقال: هو السبب في كل ما حصل، كان مكروهاً من قبل عمر علي وسعيد قزاز وزير الداخلية وبهجت العطية مدير الأمن العام الذين كانوا غير راضين عنه لأنهم حذروه من وجود عناصر شيوعية داخل الجيش إلا أنه كان يقول لهم إن الجيش بيده كالمحبس (ويدير محبساً في إصبعه) عفا عنه عبد الكريم قاسم، وخرج من السجن بعد قرابة ثلاث سنين، وكان من الذين حكم عليهم بالإعدام.

اللواء غازي الداغستاني
قائد فرقة المشاة

مثال الضابط ومثال للضبط، طيب النفس، كان قائداً لفرقة المشاة التي استخدمت في احتلال بغداد يوم ١٤ تموز، وقد اعتقل من قبل ضباطه وكان في السجن مثالاً للصفات الحميدة يؤمن بالله إيماناً راسخاً، فقلت له: لماذا لا تصلي؟ قال: إن ذلك واجب عليه ولكنه يخشى أن يقال عنه خاف فصلى (وكان محكوماً عليه بالإعدام) ووعدني بالصلاة عند خروجه من السجن. سألته فيما إذا كان يخطط للثورة كما سمعنا عنه في السابق، قال: ليست الثورة بالشيء الصعب بالنسبة لي، ولكني لم أكن أعلم أن العراقيين يرضون برجل (فويلي) ويقصد عبد الكريم قاسم وأنا غير عربي، ولذلك تأخرت عن عمل شيء (وكانت لهجة الاستهجان ظاهرة عليه)، وكان محافظاً على تصرفاته داخل السجن ولا يسمح لأحد بالاعتراض عليه من قبل الحراس وغيرهم حتى إنه رفض الخروج في أوقات النزهة للسير أمام غرف المعتقل خشية أن يسمع كلمة ادخل.

وقال عن العراقيين في ذلك الوقت: مثلهم مثل جماعة بطيارة سيطر عليها جماعة مسلحة وهي في الجو وأمرتهم في التصفيق والكل يصفقون حتى الطيار والطائرة تسير بهم فأين المصير؟ سأله المهداوي أثناء محاكمته إذا أراد الشعب أن تكون شيوعياً فهل توافق؟ فأجاب نعم، مما جلب الانتقاد له. حكم عليه بالإعدام وقضى في السجن قرابة ثلاث سنين، ثم عفا عنه عبد الكريم قاسم وخرج من السجن، وسمعت أنه ذهب لزيارة قبر الحسين في كربلاء ثم ذهب إلى لندن وتوفي هناك.

اللواء أحمد مرعي
مدير استخبارات الجيش

لواء في الجيش كان يعمل مدير استخبارات الجيش لغاية حدوث ثورة ١٤ تموز، تعرفت عليه عند زيارتي له في السجن القريب من القاعة التي نحن فيها، وكنا نذهب للاستحمام قرب غرفته. سمعته يتحدث عن ثورة ١٤ تموز، وقال عن الضباط الذين اشتركوا فيها إنهم من المخلصين إلا أنه تعجب كيف ولّوا عبد الكريم قاسم عليهم، وقال عن الطبقجلي إنه من خيرة الضباط إلا أنه يتأخر في الساعة الحرجة. قلت له: إن ضباط الاستخبارات الذين كانوا يعملون معه فيهم عدد غير مخلص. قال: عملهم أيد ذلك. حكم بالسجن المؤبد وخرج من السجن بعد ثلاث سنين. كان يتصف بالهدوء والطيبة.

د. محمد فاضل الجمالي

سياسي مخضرم تولى مناصب كثيرة في العهد الملكي ووصل إلى رئاسة الوزراء، حكم عليه من قبل المهداوي بالإعدام قال عن نفسه بأنه عدو للشيوعية وأنه صاحب مبدأ في ذلك، وأن الشيوعيين يعرفون خطورته وكفاحه ضدهم منذ أن كان مدرساً في كلية بغداد التي تحدث عن أساتذتها من الإنكليز، وقال بأن لهم ضلعاً في إدخال الشيوعية إلى العراق، وحرم من التدريس فيها، وعيّن في وزارة المعارف، وقال إنه نصح جمال عبد الناصر الذي يعتبره صديقاً له بالابتعاد عن الشيوعية التي وصفها بالاستعمار الجديد، وذكر أنه يؤيد الغرب الذي لولا الشيوعية لحصلنا منهم على الشيء الكثير، وتحدث عن اشتراكه في مؤتمر عدم الانحياز في باندونغ، وقال نفس الفكرة لجمال عبد الناصر وغيره، وقال: إن معاهدة بورت سموث (بين الإنكليز والعراق) إنها ضمنت للجيش العراقي كافة معسكرات الإنكليز في فلسطين، وقال عن حلف بغداد بأنه ضمن للعراق الدفاع عنه من قبل دول الحلف في حالة حدوث ثورة في شمال العراق أو عودة الملا مصطفى البرزاني مؤيداً من قبل روسيا، وقد ورد ذلك في أحد نصوصه كما قال.

وسألته لماذا لم يتحرك الإنكليز للقضاء على عبد الكريم قاسم؟ قال: الإنكليز لا يهمهم الأسماء والأشخاص والوجوه. فقط يهمّهم مصالحهم، فلما رأوها مؤمنة من قبل الثوار اعترفوا بها، وكانت بالنسبة لهم تغيير أسماء فقط.

كان اتجاه الجمالي أمريكيًّا، يظهر ذلك واضحاً في حديثه، ويقول إنه ينتمي إلى الجمعية الماسونية التي أقامت له مجلس عزاء في أمريكا في أول الثورة حيث تناقلت الأنباء عن وفاته، وكان يصف هذا العمل إكراماً منهم.

كان يقيم الصلاة ويقتدي بأي إمام من جماعتنا، وكان في كل رأس شهر عربي وعند بزوغ الهلال يقف قبالته وبيده المصحف ويفتح صفحة منه وينظر الآية التي تقع يده عليها متفائلاً بذلك (وهذه بدعة لا توجد عند المسلمين)، وكان لديه مصحف نادر في طبعه وزخرفته أهداه إلى أحد الضباط بعد تخفيف الحكم عنه إذ كان الضابط قد طلب منه المصحف إذا خفف الحكم عنه، ويكنى بابن العباس وكان قبل تخفيف الحكم عنه تظهر عليه علائم الضعف، ولما خفف الحكم عنه من الإعدام إلى السجن ظهر بمظهر القوي، وكان يواجه زوجته وابنه عباس في يوم وبقية الزوار في يوم آخر والذين ضاق بهم المكان لكثرتهم، ومرة حدثت مظاهرات شيوعية في بغداد استمرت ٢٤ ساعة متواصلة مر خلالها قرابة نصف مليون شخص سألته هل يمكن السيطرة على هذه الجموع قال: إذا خرجت من السجن اجلس في شرفة وتفرج على العراق فستجد أكثر من هؤلاء يطالبون بإعدام هؤلاء.

وعندما زار ملك المغرب بغداد طلب من عبد الكريم قاسم العفو عنه، فخرج من السجن بعد أن قضى ثلاث سنين، وذهب إلى المغرب ثم تونس، إذ حلَّ ضيفاً عليها حتى وافاه الأجل.

أحمد مختار بابان
رئيس وزراء العراق

من الساسة العراقيين ورئيس وزراء سابق، حكمه المهداوي بالإعدام، رجل كبير السن يلازمه المرض كان يتألم لوضعنا ويعطف على جميع الضباط ويقول إنه يحب الموصل كثيراً كما أنه يحب الملك فيصل الثاني ويقول عنه بأنه ملك مثالي مؤمن بالله لا يترك صلاته وفي كل مرة تحدث مظاهرات مناوئة للحكم أو انتفاضات يردد (اللهم سترك... أعطوهم ما يريدون) وكان يرغب بالظهور للناس والحديث معهم إلا أن الوصي عبد الإله كان مسيطراً عليه، وكان كثير الاهتمام بالرسم، وبعيداً عن كل المغريات وحتى أنهم خشوا أن تكون رجولته ناقصة، ولكن تبيّن لهم فيما بعد غير ذلك، وقال لهم الملك: إنني أصبحت ملكاً بفضل قرابتي من رسول الله فكيف أخالف تعاليم الله ورسوله. بقي أحمد بابان ثلاث سنين في السجن ثم خرج ولم أسمع عنه شيئاً.

برهان الدين باش أعيان
رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية

من رجال السياسة في العراق، أصبح رئيساً للوزراء، رجل ممتلئ الجسم ضخم الهيئة حكم عليه بالإعدام، سمعته يقول: إنه كان يريد أن تحدث تغيرات في العراق ولكن ليس بهذه الطريقة الجنونية، وكان هادئاً قال عن ثورة ١٤ تموز مشبهاً إياها (مثل دست الدولمه كانت مرتبة، ثم جاء عبد الكريم قاسم ومسك بعصا يتلفها ويخلطها ويخرب انتظامها). كان قليل الحديث والاختلاط خفض الحكم عنه وخرج مع زملائه ولم أسمع عنه شيئاً.

سعيد قزاز
وزير الداخلية

من رجال العهد الملكي، كان وزيراً للداخلية عند ثورة ١٤ تموز، أصله كردي، متعصب لعراقيته يحب العراق ويكره انفصال الأكراد ويقول إذا نادى العرب والأكراد بعراقيتهم فإن ذلك يجمعهم، أما إذا نادى كل بقوميته فإنه سيؤدي إلى المشاكل. خدم الأكراد كثيراً ووصل إلى منصبه بالتدرج، يحب نوري السعيد ويقول إن العراقيين سيصنعون له تمثالاً من ذهب، كما يحب الموصل وقد عمل فيها متصرفاً، ولما قيل له: لماذا لم تقض على الشيوعيين في الموصل عندما كنت متصرفاً فيها؟ قال: إن ذلك ذنب أهل الموصل والمتنفذين فيهم. كنت كلما أردت القضاء عليهم توسطوا لهم وألحوا في ذلك. كان الشيوعيون يصفونه بأنه رجل أمي لا يعرف القراءة والكتابة، ولما اطلعت عليه في السجن رأيته يحسن عدة لغات، وكان رجلاً شجاعاً وشعبياً قال: تعبنا بإنشاء هذه الدولة ونشأت معها وأنا موظف صغير، ولما أوشكت على الكمال انهارت على أيدي الشيوعيين. كان يكره بعض رؤساء العشائر الكردية ويصفهم بالصبيان، وسألته لماذا لم تفعلوا مع ملا مصطفى البرزاني(١) مثل ما فعل عبد الكريم قاسم أعطاه داراً وخصص له راتباً جيداً وتخلص من

---

(١) ملا مصطفى البرزاني: أحد قادة الكرد المهمين كان منفياً في السليمانية عام ١٩٤٣، وهرب منها إلى منطقة برزان، وحمل السلاح ضد الحكومة كان آخرها عام ١٩٤٧، توجه بعدها إلى روسيا وعاد منها بعد ثورة ١٤/ تموز وحصل على مكانة مرموقة، ولكنه عاود الثورة عام ١٩٦٢ لأسباب معقدة. شاهدت ولده مسعود عام ١٩٥٤ على ما أذكر عند جده لأمه أحمد آغا الزيباري وكان في الابتدائية يدرس في مدارس بغداد وسلم عليَّ بكل أدب وتصرف حسن يدل على الاعتناء بتربيته.

شرّه؟ قال: إنكم لا تعرفون الملا مصطفى، وإنه سيثور ولو جعله عبد الكريم قاسم رئيساً للجمهورية عند ذلك سيثور على نفسه، وكان هذا الحديث في عام ١٩٦٠ ولم يكن أحد يفكر بقيام ملا مصطفى بأي حركة، وقال سعيد قزاز: إذا بقيت حياً فسأذكركم بهذا الكلام، وإن مت فعليكم تذكر ما قلته. كان يحب فيصل الثاني كثيراً، وقال: مرة كنت في السليمانية مع الملك فيصل فلما قام الملك لأداء الصلاة صليت خلفه مقتدياً به وأنا بغير وضوء خجلاً منه أن أتأخر في دخولي الصف للصلاة.

كان أول من تطاول على المهداوي في محكمته وقد طلبوا منه الاعتذار وسجنوه في محل ضيق لوحده فأبى، وجلبوا زوجته وبنته الوحيدة (بري) وقالوا له: اعتذر وستواجه زوجتك وابنتك، فرفض وكتب رسالة إلى زوجته بذلك، ولما سيق إلى المشنقة قال: يشرفني أن أعتلي المشنقة وأرى تحت قدميّ أناساً لا يستحقون الحياة. كان شجاعاً لا يهاب الموت، وشخصية نادرة وقوية، خسره الأكراد قبل العرب.

بهجت العطية

مدير الأمن العام

مدير الأمن العام في العهد الملكي كنت أحسبه قبل أن أراه على ما كنا نسمع من الإشاعات رجلاً قاسياً ومتوحشاً. هذا ما كان يصوره الشيوعيون وغيرهم من طلاب الحكم، ولما رأيته أقول: لم أر قبله ولا بعده رجلاً في مثل رقته وعطفه، سألته عن أساليب التعذيب التي كان يزاولها مع الموقوفين، وحدثته عما سمعناه حولها من إيذاء وقتل وقلع أظفار... الخ قال أنا لا أنفي ذلك أو أثبته، ولكني في محنتي هذه وأنا محكوم بالموت وأنتظر ساعة الموت لا أدعو على نفسي لأني لقيت أمر شيء في هذه الدنيا، ولكن عندي خمس بنات أسأل الله إن كنت قد عذبت أحداً أو وافقت على تعذيبه أن ينتقم الله من بناتي، وقال: إنني لم أعذب أحداً ولا أمرت بذلك ولم أقم بعمل من هذا القبيل، ولكن الناس فقدت عقولها يقولون إني كنت أسحب أظفار الموقوفين، وصار عندي أكياس كبيرة فهل حسب المهداوي ومن ردد ذلك كم من ملايين الأظفار لتملأ كيساً واحداً. وذكر أن مراسله شهد عليه بوجود ثلاجتين في بيته، قال: لقد كذب لأني لا أملك سوى واحدة. وذكر خطورة الشيوعية وأنه كان يقاومها وتمكن من الحصول على أحدث الأجهزة للتنصت والتسجيل من أمريكا، وأن حلف بغداد كان متعاوناً معه في ذلك حتى أن أي شيوعي إذا تحرك من طهران متوجهاً إلى العراق كنا ننتظره ونراقبه منذ دخوله الحدود ولم يكن بإمكان الشيوعيين السيطرة على الحكم لولا تدخل الجيش، وكان يكره رفيق عارف رئيس أركان الجيش حيث كان يخبره عن الضباط ذوي الميول الشيوعية، ومنهم ماجد محمد أمين عقيد ركن والمدعي العام لمحكمة المهداوي، وكان يقول له بأنّ الحكومة صرفت عليهم مبالغ من المال حتى

صيرتهم ضباطاً فكيف يسوغ خسرانهم وكان كلما يسمع عن توقيف أحد من الشيوعيين يسأل عن اسمه، فلما يقال له ذلك يقول: هذا لا يساوي شيئاً وكان موسوعة علمية في معرفته بهم في ذلك الوقت، يحدثك عنهم وعن أهليهم وأخلاقهم. وذكر اسم ضابط الشرطة الذي كان لا يزال طليقاً ولا يعرفه الشيوعيون. هذا الضابط موسوعة أخرى عنهم ويعرفهم واحداً واحداً وبالإمكان الاستفادة منه - وقد نسيت اسمه - لقد نفذ فيه حكم الإعدام وسار إلى مصيره في هدوء رحمه الله.

عبد الجبار فهمي

مدير شرطة بغداد

كان مديراً لشرطة بغداد يوم الثورة حكم عليه بالإعدام من قبل المهداوي، لم أسمعه يتضجر ولم أسمعه يتحدث بشيء وعلمت أن مشاكله المالية كثيرة وأنه لم يترك شيئاً نفذ فيه حكم الإعدام وذهب إلى ربه رحمه الله.

عبد الجبار أيوب

آمر سجن نقرة السلمان

رجل قوي العزيمة عربي قاوم الشيوعية وهتف بسقوطها وهو على المشنقة، كان آمراً لسجن نقرة السلمان الواقع في جنوب غرب العراق وألف كتاباً يصف فيه مخازي الشيوعيين في السجون وحقد عليه الشيوعيون وحكموا عليه بالإعدام. رحمه الله رحمة واسعة.

مبدر الكيلاني

من أقارب رشيد عالي واتهم معه في نفس القضية وحكم عليه بالإعدام. رجل في العقد الثالث من العمر مربوع القامة ممتلئ الجسم هادئ في تصرفاته حسن في سيرته، متزوج وله أطفال كان قائماً بخدمة السيد الكيلاني في السجن خير قيام، وكان في أوروبا في الحرب العالمية الثانية، وحدثنا عما لاقاه أيام الحرب وكيف نقل في أيامها الأخيرة إلى إيطاليا، وعند انتهاء الحرب سجن في سجون إيطاليا المظلمة ووصفها بأنها سراديب داخل سراديب لا يصلها الضوء. وقال إن سجون العراق رحمة بالنسبة لتلك السجون. كما حدثنا عن كيفية الإعفاء عنه وتنقله من مكان إلى مكان في أوروبا، وقد طلب منه أحد السائقين زوج الجوارب الذي كان يرتديه عوض أجور النقل، وكانت ثيابه قد تهلهلت وتمزقت وطال شعر رأسه ولحيته وضاعت معالم صورته حتى أنه عندما وصل بغداد بالطائرة توجه إلى دار أحد أقاربه (حكمت سليمان) ولما دخل الدار لم تعرفه الخادمة وهي مربيته، ولما سأل عن حكمت سليمان طلبوا انتظاره في حديقة الدار ريثما يحضر، ولما جاء حكمت سليمان لم يتعرف عليه وقال له: ماذا تريد، فبكى مبدر ولما حملق فيه وتقرب منه عرفه وعرفته الداية (المربية) وعرفته أخته زوجة حكمت سليمان، وكان لقاء حاراً مملوءاً بدموع الفرح فأدخلوه البيت والحمام وأعطوه الملابس وجلس معهم على مائدة الطعام ليأكل أكلة ما ذاق مثلها منذ سنين.

ولما عاد رشيد عالي الكيلاني إلى العراق اتهم معه بالتآمر، وكانت التهمة العثور على أسلحة في داره، وكانت هذه الأسلحة قديمة (نماذج فقط) كان يجمعها ويحتفظ بها في معرض خاص، وهذه هوايته ولكن المهداوي

اعتبرها دليلاً على التآمر. ولما واجه رشيد عالي الكيلاني عبد الكريم قاسم عند الإفراج عنه رجاه أن يفرج عن مبدر فوعده بذلك ولم يفعل، وخرج مبدر من السجن مع من خرج في العفو العام، ولم أسمع عنه شيئاً بعدها.

المحامي عبد الرحيم الراوي

من المتهمين مع رشيد عالي الكيلاني محكوم عليه بالموت، قصير القامة ممتلئ الجسم أسمر اللون، طيب العشرة لم نشاهد منه إلا الرقي، كان يأتينا بالأخبار دوماً، وخاصة وأنه يعرف اللغة الفرنسية وكان أحد الموقوفين فرنسياً يواجه زوجته دوماً فيتحدث الراوي إليه بعد المواجهة وينقل لنا الأخبار. وذكر لنا عمر علي أنه أيام ثورة الشواف كان متفائلاً ويأتيهم بالأخبار، لا يدرون من أين يأتي بها وقال لهم مرة إن بغداد مطوقة. وكان الراوي محترماً من الجميع ومنذ خروجه لم أشاهده.

توفيق السويدي
رئيس الوزراء

أحد رؤساء الوزارات في العهد الملكي ممتلئ بالصحة، مربوع القامة أشقر اللون عصبي المزاج تظهر عليه علامات الكبر، حكم عليه بالسجن المؤبد. قال عنه الجمالي: إنه دفع عشرين ألف دينار رشوة للمهداوي ليحكم عليه بالسجن، رأيته عدة مرات في المواجهات يجلس على كرسي وبجانبه كرسي فارغة ينادي واحداً واحداً من زواره الجالسين أمامه، يتحدث إليه فإذا طال الحديث علمنا أن الزائر يتحدث عن أمور التجارة والمال، وإذا صرفه بسرعة علمنا أن الأخير لا يتحدث عن التجارة والمال. كان محترماً من الجميع رغم عصبيته ويقوم على خدمته السيد أحمد مرعي والجمالي والسويدي هو الذي وضع قانون السجن ونظامه. يجلب له الطعام من بيته فإن وجده أكثر من حاجته اعتبر ذلك تبذيراً وعتب على أهله.

ولما أفرج عنه عبد الكريم قاسم استدعاه إلى مكتبه وأهداه مجموعة من خطبه وأقواله فأخذها ووضعها بجانبه ولما غادر المكان تناساها متعمداً ولما عاد إلى بيته اجتمع الناس أمام داره لتهنئته مع الطبول والمزامير فخرج إليهم وقال لهم إن الزعيم - ويقصد عبد الكريم قاسم لا يريد شعبية لغيره، وطلب منهم توزيع ألف نسخة من كتاب مذكرات نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية.

وبقي من الذين عشت معهم في السجن الضباط الذين حكم عليهم وبقوا على قيد الحياة والمشتركين في ثورة الموصل وهم:

العقيد الركن منير فهمي الجراح - ساهم في ثورة الموصل ونال من التعذيب الشيء الكثير، هادئ متزن صبور ترجم أحد الكتب العسكرية خلال وجوده في السجن، أفرج عنه بعد ثلاث سنين من سجنه.

العقيد الركن محمد سعيد الشيخ

اشترك في ثورة الموصل وما ناله من التعذيب أفقده الأمل في حياته. حكم عليه بالسجن عشرين عاماً قضى منها ثلاث سنوات ثم خرج هادئاً متعبداً قليل الكلام يميل إلى العزلة.

العقيد الركن يونس عطار باشي

من الضباط المندفعين والمتحمسين لثورة الموصل، حكم عليه بالسجن بعد تعذيبه، وكان خلال مدة سجنه مرحاً لم نشاهد منه إلا الطيب وأفرج عنه بعد ثلاث سنين من سجنه.

العقيد إبراهيم الكيلاني

شارك في ثورة الموصل وسيق إلى محكمة المهداوي وكان صديقاً له. وفي إحدى الجلسات أشار المهداوي إليه بتمرير سبابة يده اليمنى أمام حنجرته، يريد أن يقول له سوف أحكم عليك بالموت، فأجابه وهو في قفص الاتهام (اتخلص من وجهك) كان هادئاً متواضعاً أفرج عنه بعد ثلاث سنين.

المقدم يوسف يونس كشمولة

شارك في ثورة الموصل وكان في عقرة (حامية في شمال العراق) ناله من التعذيب الشيء الكثير، وبقي صامداً وقوياً رغم ما أصابه وما أصاب أسرته في الموصل من خسائر واضطهاد على يد الشيوعيين. كان محباً لجميع من في السجن ومصلحاً بينهم، حكم عليه بالإعدام ثم خفف الحكم عنه، وكان أبو شفاء صديقاً ورفيقاً لنا جميعاً.

المقدم كامل طه الدبوني.

سبق الحديث عنه، وأضيف: رجل طيب القلب واسع الصدر تلقى حكم الموت بكل رباطة جأش سباق لعمل الخير، يؤثر أصحابه على نفسه حفظ القرآن الكريم داخل السجن، وقرأ كثيراً من الكتب الدينية والاجتماعية، يكثر من الصوم والعبادة، كان خير زميل لي في السجن اشترك في ثورة الموصل ونظم لها وحاول جهده إعادة السيطرة بعد انهيارها. نال من التعذيب الشيء الكثير وصبر على ذلك وبقي يقاوم الشيوعيين في السجن وخارجه.

المقدم عبدالله الجبوري

من الذين اشتركوا في ثورة الموصل وساهموا في تنفيذها صلب في مواقفه، عُذب كثيراً، حكم عليه بالإعدام ثم خفض الحكم عنه. محبوب لدى الجميع يمتاز بإصداره الأحكام في أي موضوع يعرض عليه بتجرد وبكل بساطة ولا يجامل في ذلك، فيه عصبية فإذا غضب أسرع الجميع لطلب رضاه لما له من مكانة طيبة عندهم.

العقيد الركن جميل الخشالي

شارك في ثورة الموصل وكان في بغداد، ولما سمع بالثورة اندفع معها فهاجم الشيوعيين، سيق إلى محكمة المهداوي وحكم بالسجن عشرين عاماً. كان يهاجم الشيوعيين دون خوف من بطشهم وهو في سجنه. كان مسجوناً في قلعة أخرى ولم نشاهده إلا قليلاً.

الرئيس الصيدلي أمين الكركجي

شارك في ثورة الموصل وهيأ ونظم لها وكان صديقاً للشهيد الشواف، له اطلاع واسع عن الضباط وعن الساسة ورجال الحكم، لا يتزحزح عن عقيدته في أي ظرف، بقي مخلصاً لجمال عبد الناصر ويرى فيه رجلاً مثالياً. له أسلوبه الخاص في الانتقاد لا يجامل في الحقائق عزيز النفس، حكم عليه بالسجن عشرين عاماً محترماً من أصدقائه ومعارفه لتقديمه مصلحة الأمة على أي شيء خرج من السجن بعد ثلاث سنين من سجنه.

الرئيس منعم حميد

كان يعمل في بغداد وحضر إلى الموصل مع زميل له موفداً من قبل مدير الاستخبارات الشهيد رفعت الحاج سري قبل الثورة، وتمكن من الخلاص من الشيوعيين بأعجوبة. شاهد جامع عجيل يرمى بالصواريخ وألقي القبض عليه وحوكم أمام المهداوي الذي حكم عليه بالسجن المؤبد، كان يمتنع عن مواجهة زواره وحتى أسرته. صبور هادئ خرج من السجن بعد ثلاث سنين وهو الذي رمى عبد الكريم قاسم في مبنى الإذاعة يوم ١٤ رمضان وقضى عليه.

الرئيس صديق الصفار

ساهم وشارك في ثورة الموصل تحمل من التعذيب الشيء الكثير، وكان صامداً حتى أن المجرم عبد الرحمن القصاب (من قادة الشيوعيين في الموصل ورئيس المحكمة القصابية) شاهده وهو تحت وطأة التعذيب وكان له سابق معرفة به ومن أبناء حارته، قال له القصاب: قل كلمة واحدة بأنك تنضم إلى الحزب الشيوعي وتخلص من التعذيب وتعود إلى دارك وأطفالك فوراً. فكان جوابه (أستغفر الله. . . أستغفر الله) مما زاد في حقد معذبيه، حكم بالإعدام ثم خفض الحكم عنه، مشهور في انتقاداته اللاذعة يميل إلى المزاح وفي لسانه حدة مستقل ونصير للقومية العربية والإسلام.

الرئيس حازم حسن

ساهم في ثورة الموصل ونظم لها وكان مسؤولاً عن أماكن مهمة في البلد مع سريته، تركها واتجه إلى سوريا دون إخبار مقر الفوج مما أدى إلى فقدان السيطرة عليها، ألقي القبض عليه وحكم بالإعدام ثم خفض الحكم عنه. ألف كتاباً عن ثورة الموصل معتمداً على مذكرات الرئيس صديق الصفار وذكر فيه أن سبب تركه الموصل كان لغرض جلب قوة من سوريا. كان مستقلاً ونصيراً للقومية العربية والإسلام.

الرئيس محمد سعيد قاسم

ساهم في ثورة الموصل بتعصب واندفاع، يقدره الجميع لكونه من أسرة فقيرة كانت بحاجة ملحة إليه، ولكنه اندفع مع الثورة مضحياً بكل شيء مؤمناً بأن الله مسؤول عمن كان يعولهم، مخلصاً لبلده يعتز بالعروبة تحت راية الإسلام وبقي على اعتقاده لم يتغير أبداً.

الإمام سعيد عبد العزيز

إمام الفوج الأول، من الصابرين على الأذى عذبه الشيوعيون بشكل غريب وبقي صابراً محتسباً يذكر الله ويدعو بالصلاح حتى للذين عذبوه، كان يؤمنا بالصلاة أكثر الأوقات ويؤذن لها. حكم عليه بالسجن وبقي قرابة ثلاث سنين ثم أفرج عنه.

الملازمون

غانم فتحي وهاشم يونس وهاشم عبد العزيز وطارق حسين وحاتم عبد العزيز وكامل إسماعيل وحازم العمري وهاني عبد القادر، وسالم الحجية وغانم محمد العبد الله وحسن محمد صالح وعبد الرحمن مصطفى، وذنون يونس شاهين وسالم يحيى الحافظ وسعيد محمد فتحي، وساطع شريف الحاتم وسلطان خلف والنائب الضابط أنور العساف. كلهم نخبة طيبة من الشباب القوي المؤمن نفذوا وساهموا في ثورة الموصل ونالوا من التعذيب الشيء الكثير وبقوا على ثباتهم، قضوا في السجن قرابة ثلاث سنين متعاونين متحابين يخدم بعضهم بعضاً بروح الأخوة والمصير الواحد. قال عنهم السيد رشيد عالي الكيلاني لما رأى منهم من الصبر والإخلاص والإيمان بالله (لو كانوا بإمرتي لصنعت العجائب) ومن يطلع عليهم وهم في سجنهم لا يخامره شك بأنّ هؤلاء لا يجتمعون على باطل. عادوا إلى الجيش بعد ثورة ١٤ رمضان إلا الملازم سالم يحيى الحافظ، ووصل قسم منهم إلى أعلى المراتب وبقوا على سيرتهم إلا القليل وطيلة مدة سجنهم، لم يكن يحدث بينهم غير حوادث قليلة من المشاجرة الكلامية، وسرعان ما يتدخل الجميع لإعادة الصفاء إليهم.

الموصل
في نهاية عام ١٩٦٢
وأوائل عام ١٩٦٣ كما رأيتها

كانت الموصل أشبه بجزء منفصل عن العراق في تفكيرها تشاركها مدينة كركوك، وهما المدينتان اللتان تعرضتا للمدّ الشيوعي الأحمر وويلاته، ولم يكن في الموصل أي شيوعي، وإن كان فهو مختفٍ لا يستطيع السير خارج مخبئه وكانت موجة الاغتيالات للشيوعيين قد خفت إلا أن ما وقع منها في نهاية عام ١٩٦٢ وبداية عام ١٩٦٣ قد استغل من بعض الفئات للنيل من خصومهم أو محاولة الاستيلاء على تجارتهم بطريقة تهديدهم محتجين عليهم بأشياء تافهة ليضطروهم بترك عملهم وليستولوا على تجارتهم.

وكانت الموصل تتفق بآرائها وأفكارها في مقاومة الشيوعية ورفضها، وكنت ألاحظ أيام الاحتفالات الرسمية أن الناس يبتعدون عنها، وترى الشوارع خالية أشبه بمنع التجوّل وكان الموظفون من المدنيين والعسكريين والشرطة وحراس السجن يقفون بجانب المواطنين ولم يكن هناك من حزب مسيطر عليهم رغم وجود الأحزاب القومية والإسلامية والبعثية وكان الحزب الأخير قد استفاد من نكبة الموصل فكسب إلى جانبه أولاد المنكوبين وذويهم واعداً إياهم بالثأر لشهدائهم وكانت إذاعة القاهرة وصوت العرب الموجه الحقيقي لعامة الشعب، وكانت تسمع في كل مكان، وكانت هذه الإذاعات تخدم العراقيين وتعيش معهم في سجنهم الكبير وتعبر عما يجول بخاطرهم وتقدم برامج هزلية عن عبد الكريم قاسم للتخفيف من آلامهم. أما الأكراد فقد كانت الحكومة تقاتلهم ولم يكن لهم أي تأثير في الموصل.

عمل أكثر الضباط المفرج عنهم في وظائف مدنية، وكانت رواتبهم قليلة جداً إلا أن الحاجة والفراغ دفعهم إلى ذلك وكانوا يتمتعون بمكانة طيبة بين

مختلف الناس وكان لذوي الشهداء مكانة أعظم والجميع في خدمتهم يزورونهم في بيوتهم ويساعدونهم في تقديم ما يستطيعونه والحقيقة أن الموصل كانت قلعة تقاوم الشيوعية حتى حرموا بيع الجرائد الشيوعية أو شراءها، أما الكتب الشيوعية فلا يجسر أحد على عرضها.

وفي السجن كان الذين يسجنون بتهمة سياسية يجدون كل ترحيب ومساعدة من السجانين وموظفي السجن وصادف زيارتي لأحد أقاربي في سجن الموصل حكم عليه لتوزيعه مناشير مناوئة لعبد الكريم قاسم ورأيته مرتاحاً ومصرًّا على مكافحة الشيوعية وكان المسؤولون يقدمون له كل خدمة. كما زرت خالي بشير أحمد السلمان مدير شرطة كركوك فكانت كركوك كالموصل في التصميم على مقاومة الشيوعية، ووضعها يشابه الموصل تماماً.

أما الجيش فكان نشاط الضباط في تطهيره من الشيوعيين وخلاياهم مستمرّ، والجميع متعاونون للقضاء على أتباعها بالطرد أو السجن، وكانت المحاكم العسكرية تلقي أقسى العقوبات على الشيوعيين الذين يقدمون للمحاكمة، وكان القانون إلى جانبهم حيث إن الحزبية محرمة في الجيش ويعاقب عليها القانون.

إن جميع من في الموصل وكركوك بل وفي كافة أنحاء العراق كانوا يتوقعون قيام ثورة جديدة تطيح بقاسم العراق وأتباعه ويفتحون الراديو كل يوم صباحاً ليسمعوا البيان الأول للثورة الجديدة.

وكان لوالدي رحمه الله غرفة كبيرة في البيت مخصصة للضيوف وفي كل ليلة يجتمع فيها مع العلماء والشعراء والمواطنين عدد يربو عن العشرين شخصاً من مختلف الأحزاب والهيئات عدا الشيوعيين وكان النقاش بينهم يحتدّ وقد يطول ذلك حتى بزوغ الفجر، وكنت ألاحظ الصفاء والمحبة بين الجميع رغم اختلاف عقائدهم.

وكنت ألتقي مع جماعة من الضباط الذين هم في الخدمة وكان جميعهم ينتظرون ساعة الصفر للإطاحة بقاسم العراق فكل شيء مهيأ في الموصل لقبول الثورة الجديدة.

انتهت ثورة ١٤ تموز يوم أن أذيع البيان الأول للثورة الجديدة يوم ١٤ رمضان المصادف ٨/ شباط/ ١٩٦٣ وانتهى معها عدد كبير ممن قاموا بتنفيذها وخلاصتها مجموعة من الأخطاء تحمَّل عبئها الشعب العراقي ولا يزال مع خسران الاتحاد الهاشمي الذي يُمَكِّن الجيش العراقي من التواجد على الحدود الإسرائيلية، والغريب أن الحديث عنه بعد إلغائه انتهى تماماً رغم أنه تم بصورة دستورية.

فهرس المحتويات



المؤلف في سطور

- ولد صديق اسماعيل الكتبي في مدينة الموصل سنة ١٩٢٧م.
- تخرّج من الكليّة العسكريّة في بغداد سنة ١٩٥٣م.
- من الضباط الّذين نفّذوا ثورة الموصل سنة ١٩٥٩م. وحكم عليه بالاعدام في محكمة المهداوي وخفض الحكم الى السّجن المؤبّد وقضى في السّجن قرابة ثلاث سنين.
- توفّي ودفن في مدينة الموصل سنة ١٩٩٨م.
- ترك مجموعة من الدّراسات والمذكّرات و أوصى بنشرها ,وهذا بفضل الله هو الاصدار الأول:

«العراق... بداية النهاية»